وزارة التعليم العالي والبحث العملي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الدراسة الصباحية
المرحلة الأولى

الأدب العربي قبل الإسلام

م.د. شيماء حاتم عبود

العام الدراسي 2020 _ 2021

علي حسين علي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

محاضرات

الادب العربي قبل الاسلام (الادب الجاهلي)

2021

مفردات مادة الادب الجاهلي

اولا : التعريف بالمصطلح (الادب الجاهلى)

أ- مدلول الادب في اللغة والاصطلاح وتقسيمات تاريخ الادب

ب - مدلول مصطلح ماقبل الاسلام ((العصر الجاهلي))

ثانيا : مصادر أدب ماقبل الاسلام (الرواية – كتب الادب – كتب السير – كتب تاريخ الادب – الدواوين وكتب الاختيارات الشعرية)

ثالثا : موضوعات الشعر الجاهلى (الغزل – الهجاء – الوصف – المديح – الرثاء)

رابعا : الخصائص الفنية للقصيدة الجاهلية :

(البناء الفني – اللغة والاسلوب – الخيال والايقاع)

خامسا : المعلقات (اسس الاختيار والتسمية والشعراء وموضوعاتها وسماتها الفنية امرؤ القيس – زهير بن ابي سلمى – النابغة الذبياني – لبيد – الاعشى)

سادسا: تطبيقات شعرية

أ – الشعراء الفرسان ((الخصائص الفنية والموضوعية لشعرهم مع تطبيقات))

ب-الشعراء الصعاليك ((الخصائص الفنية والموضوعية لشعرهم مع تطبيقات))

سابعا : النثر الجاهلى :

أ- مصادر دراسته

ب-انواعه وخصائصة الفنية والموضوعية
ت-دراسات تطبيقية وحفظ (الرسائل – الخطب – الاخبار – المناظرات)

مصادر الادب الجاهلي المقترحة

- **تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) د. شوقي ضيف**
- **تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، د. نوري حمودي القيسي ،د. عادل البياتي**
- **دراسات في الشعر الجاهلي ، د. عناد غزوان**
- **الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ، د. يحيى الجبوري**
- **مصادر الشعر الجاهلي ، د. ناصر الدين الاسد**
- **الادب العربي في الشعر الجاهلي ، د. مصطفى صادق هداره**
- **الادب الجاهلي وبلاغة الخطاب ، د. عبدالاله الصائغ**
- **المعلقات السبع ، ابن الانباري**
- **الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين ، د. علي احمد الخطيب**
- **دراسات في الادب الجاهلي ، د. عبدالعزيز نبوي**
- **جماليات التحليل الثقافي : الشعر الجاهلي انموذجا ، د. يوسف عليمات**

مفهوم الادب :-

ان لفظة (الادب) من المصطلحات التي دارت حولها المناقشات والاراء قديما ، ولاتزال موضع دراسة وبحث حتى الان ، ولقد تطور معناها بتطور حياة الامة العربية وانتقالها من دور البداوة الى ادوار المدينة والحضارة .

1- معنى لفظة (الادب) فى العصر الجاهلى : لقد تطورت لفظة الادب بتطور الحياة العربية من الجاهلية حتى ايامنا عبر العصور الادبية المتعاقبة ، واذا رجعنا الى العصر الجاهلي ننقب عن الكلمة فيه لم نجدها تجري على ألسنة الشعراء بدلالاتها الفنية ، بل كانت تعني في الجاهلية (الدعوة الى الطعام) او (الدعوة الى مأدُبة او وليمة) ، وقد وردت في الشعر الجاهلي بهذه الدلالة في قول الشاعر طرفة بن العبد :

نحن في المَشتاةِ نَدعُو الجَفَلى لا ترى الآدبَ فينا يَنتَقِر [1]

اراد الشاعر ان يقول : انهم كانوا يقيمون المآدب في الشتاء ويجعلونها عامة لكل الناس ، ولكل عابر سبيل ، كما انهم لو يكونوا يختارون من يأتي الى تلك المآدب .
وقد ذكر المستشرق نالينو (1872 -1938) رأيا" في اشتقاق الكلمة ، فهو يشتقها من (الدأب) بمعنى العادة ويرى ان هذه اللفظة لم تشتق من المفرد ، وانما اشتقت من الجمع ، فقد جمعت (دأب) على (أدآب) ثم قلبت فقيل (آدآب) كما جمعت (بئر) على (أبآر) . ويستمر قائلا" : وكثر استعمال (الآداب) جمعا (للدأب) حتى نسي العرب اصل هذا الجمع ، وهو في رأيه انما يعتمد في اصله على الفرض ، اذ ليس لدينا النصوص او القرائن العلمية الواضحة ما تبين ان لفظ الادب قد اشتق من (الأدآب) جمع (دأب) .

2- معنى لفظة الادب في عصر صدر الاسلام : لما جاء الاسلام ووضعت اصول الادب واجمع المسلمون على ان الدين أخلاق يتخلق بها نجد ان لفظة (الادب) دلت على معنى التهذيب والتربية ، ففي الحديث النبوي الشريف : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) ، وفي هذا العصر استعمل شاعر مخضرم يسمى (سهم بن حنظلة) اللفظة بنفس المعنى - التربية والتهذيب – اذ يقول :

لا يمنعُ الناسُ مني ما أردتُ ولا أعطيهمُ ما أرادوا حُسنَ ذًا أدبا

ربما استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلقي ، غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن ، اذن انتقلت الكلمة من معناها الحسي (الدعوة الى الطعام) في العصر الجاهلي الى معنى ذهني وهو (الدعوة الى التهذيب ومكارم الاخلاق) في العصر الاسلامي .

---

(1) المشتاة: وقت الشتاء ، الجفلى : عامة الناس ، الآدب : الداعي ، ينتقر : يتخير

3- معنى لفظة الادب فى العصر الاموي : اما معنى لفظة (الادب) في العصر الاموي نجدها تدور في المعنى الخلقي والتهذيبي ويضاف اليه معنى ثانيا"جديدا" وهو معنى تعليمي ، فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى بـــ (المؤدبين) ، كانوا يعلمون اولاد الخلفاء ما تطمح اليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية ، فكانوا يلقنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم

وأيامهم في الجاهلية والاسلام . وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الادب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم الذي كان يُطلق حينئذ على الشريعة الاسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القران الكريم .

4- <u>معنى لفظة الادب في العصر العباسي :</u> اذا انتقلنا الى العصر العباسي وجدنا المعنيين (التهذيبي والتعليمي) يتقابلان في استخدام اللفظة ، فقد سمى ابن المقفع رسالتين له يتضمنان ضروبا" من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم (الادب الصغير) و (الادب الكبير) . وبنفس هذا المعنى سمى ابو تمام (ت 232هـ) الباب الثالث من ديوان الحماسة الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر ، بأسم باب الادب . ولم تقف اللفظة عند هذا المعنى التعليمي الخاص بصناعتي النظم والنثر ومايتصل بهما من النوادر والأخبار ، فقد اتسعت احيانا" لتشمل كل المعارف غير الدينية التى ترقى بالإنسان من جانبيه الاجتماعي والثقافي . وبهذا المعنى الواسع نجدها عند إخوان الصفا عند الصفا في القرن الرابع للهجرة ، فقد دلوا بها في رسائلهم الى جانب علوم اللغة والبيان والتاريخ والاخبار على علوم السحر والكيمياء والحساب والمعاملات والتجارات . ولا نصل الى ابن خلدون المتوفى سنة 808 هـ حتى نجدها تطلق على جميع المعارف دينية وغير ودينية ، فهي تشمل جميع ألوان المعرفة وخاصة علوم البلاغة واللغة ، ومن ثم قال : ((الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والاخذ من كل علم بطرف)) .

5- <u>معنى لفظة الادب في العصر الحديث :</u> أخذت الكلمة منذ أواسط القران الماضي تدل على معنيين : معنى عام يطلق على كل مايكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه ، سواء أكان علما" أم فلسفة أم أدبا" خالصا" ، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبا" . ومعنى خاص هو الادب الخالص الذي لا يراد به مجرد التعبير عن معنى من المعاني ، بل يراد به ايضا" أن يكون جميلا" بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ماهو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الادبية مثل الخطابة والامثال والقصص والمسرحيات والمقامات .

تاريخ الادب :

علم يبحث عن احوال اللغة وما انتجته قرائح ابنائها من بليغ النظم والنثر في مختلف العصور وعما عُرض لها من اسباب الصعود والهبوط والدثور ، ويُعنى بتاريخ الادب النابهين من اهل الكتابة والنقد وبيان تأثير بعضهم بالفكرة والصناعة والاسلوب .

ذلك تعريف تاريخ الادب بمعناه الخاص ، اما تعريفه بمعناه العام فو وصف مُسلسل مع الزمن لما دون في الكتب وسُجُل في الصحف ونقش على الاحجار ، تعبيرا" عن عاطفة أو فكرة أو تعليما" لعلم او فن أو تخليدا" لحادثة أو واقعة .

تقسيمات تاريخ الادب العربي وعصوره

درج مؤرخوا الادب العربي الى تقسيم العصور الادبية على خمسة عصور اساسية وهي :

1- العصر الجاهلي : بدايته من اول شعر وصلنا الينا ، ويقدر الباحثون ذلك الزمن بأنه قبل الاسلام بمائة وخمسين عاما" وينتهي الاسلام ومن اشهر شعراء هذا العصر (امرؤ القيس) .

2- العصر الاسلامي : بدايته كانت مع ظهور الاسلام وتأثيره في الادب ونهايته حكم الخلفاء الراشدين ومن امثلة شعراء هذا العصر (عبدالله بن رواحة "رضي الله عليه" وحسان بن ثابت).

3- العصر الاموي : بدايته كانت من سنة (41هـ) مع بداية الخلافة الاموية ونهايته سنة 132 هـ مع نهاية الدولة الاموية ومن اشهر شعراء هذا العصر الشاعران التميميان (جرير والفرزدق).

4- العصر العباسي : بدايته سنة 132 هـ بداية الدولة العباسية ونهايته بسقوط بغداد سنة 656هـ ، ونظرا" لطول هذا العصر واختلاف حالة الادب فيه فقد قسمه مؤرخو الادب على ثلاثة عصور: -

أ- العصر العباسي الاول : بدايته سنة 132 هـ ونهايته سنة 232 هـ .

ب- العصر العباسي الثاني : بدايته 232 هـ ونهايته سنة 447 هـ .

ت- العصر العباسي الثالث : بدايته سنة 447 هـ نهايته سنة 656 هـ عند الاستيلاء التتار على بغداد .

5- عصر الدول المتتابعة : بدايته استيلاء المغول سنة 656 هـ ، ونهايته بتأثير الحضارة الاوربية في الادب العربي وذلك في بداية القرن الثالث عشر .

6- العصر الحديث : بدايته كانت مع قيام الدعوات الاصلاحية ويمتد الى ايامنا هذه ويسمى (ادب النهضة العربية) او (الادب الحديث) .

مفهوم الجاهلية (معنى الجاهلية) :-

الجاهلية اسم اطلقه القران الكريم على العصر الذي سبق الاسلام ، اي ظهر مع ظهور الاسلام ، ويشار به الى المدة التي سبقت الاسلام بقرابة قرن ونصف من الزمان ، وهي المدة التي شهدت تكامل العربية ونضج فيه الشعر واستوى على سوقه ، ويحددها الجاحظ بقوله : ((فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – الى ان جاء الله بالاسلام – خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)) ويمكن تسمية ما وراء هذه الفترة بالجاهلية الاولى : وهي العصور الغابرة التي أخذ الشعر يدرج فيها ، ذلك أن الجاحظ حدد أولية القصيدة العربية ، دون أن يحدد أولية الشعر ، فهذه فترة يشوبها الغموض ، لانكاد نظفر بأخبار عنها ، سوى تلك الاخبار التي تتصل بالامارات العربية الشمالية (الشام ، الحيرة ، كندة) .

ينبغي ان نعرف أن كلمة الجاهلية التي اطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه ، انما مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق – الخفية والطيش في الامر - ، فهي تقابل كلمة الاسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله وحده، وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم ، وهي اذا" ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ، وذلك ان العرب عرفوا بعض العلوم كالفلك والطب واقتفاء الاثر وكان لهم أدب راق مايزال يحتل مكانة مرموقة . ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بمعنى الطيش والغضب ففي سورة البقرة : ((قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) وفي سورة الاعراف : ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) وفي سورة الفرقان : ((وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) ، وفي الحديث النبوي الشريف أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال لابي ذر وقد عيّر رجلا" بأمه : ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

وواضح في هذه النصوص جميعا" ان الكلمة استخدمت من قديم الزمان للدلالة على السفه والطيش والحمق ، فالجهل هنا ينص على السلوك المنافي للعقل والمنطق . وقد اخذت تطلق على العصر القريب من الاسلام وبعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق غير جيدة كالاخذ بالثأر ، واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موبقات . اذا التقى مصطلح (الجاهلية) بمصطلح (الوثنية) في المعنى والدلالة هو جهل الناس بعبادة الله الواحد الاحد ، وعدم اهتدائهم الى شريعة الجديدة التي جاء بها نبينا الكريم .

<u>اما الشعر الجاهلي :</u> فهو شعر قديم موغل في القدم مر بأطوار وأزمان طويلة ، كان في بدايته بسيطا" ، ثم نما وترعرع حتى استوى قصيدا" متينا" على يد امرئ القيس وإضرابه من فحول الجاهلية .

وليس من المستطاع تحديد مدة معينة لبدأ تلك المحاولات ، ولكن ما بأيدي الرواة من الشعر الجاهلي يرقى عهده الى مائتي سنة على الاكثر ، وهذا هو التحديد الذي قرره الجاحظ (ت255 هـ) حين قال : ((واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن ، واول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة)) الجاحظ هنا يعين عمرا" للشعر الذي عرف وهو ناضج مكتمل اما قبل ذلك ، فلا يمكن ان يحدد بمدة قليلة كهذه ، فهناك مئات من السنين مرّ بها الشعر حتى وصل مكتملا" الى مهلهل وامرئ القيس وعنترة وغيرهم .

في الشعر نفسه من الدلائل الواضحة على انه مسبوق بكلام كثير ومحاولات عهدها طويل ، فامرؤ القيس يُحاكي من قبله في الوقوف على الاطلال والبكاء عليها اذ يقول :

عُوجَا على الطّلَلِ المُحيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابنُ حِذَامِ

فبكاء الديار في زمن امرىء القيس ليس جديداً فقد بكاها شعراء قبله منهم ابن حذام الذي لم يصل إلينا من شعرة شيء . ان مواطن نشأة الشعر الجاهلي بلاد نجد والحجاز وما حولها ومن خلال تتبعنا لنشأة الشعر يظهر لنا أن امرأ القيس هو رائد الشعر الجاهلي، لأن شعره هو أول شعر قوي مكتمل يتناقله الرواة.

كان للشعر اهمية كبيرة عند العرب يقول ابن سلام: ((وكان الشعر في الجَاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون)) .

العوامل التي أثرت في الأدب الجاهلي:

. طبيعة السلالة العربية
. بيئة العرب الجغرافية
. حياة العرب الإجتماعية والأخلاقية
. حياتهم السياسية
. حياتهم الدينية
. حياتهم العقلية ونعني بها علومهم ومعارفهم
. أسواقهم واقتصادهم

البيئة الجغرافية للعرب

شبه جزيرة العرب صحراوية في معظمها يسود أرضها الجفاف ، ولكن حين تحظى بمطر أو ينبوع يتحول بعض أجزائها روضات بهيجة تسر الناظرين ،ولاشك أن الإنسان هو ابن الأرض تطبعه بطابعها وتلون أخلاقه ومزاجه وعاداته بلون تضاريسها ومن هنا فقد طبعت الصحراء أخلاق العرب بطابعها فتحلوا بالشهامة والكرم والنجدة وكراهة الخسة والضيم وقد كانت كل هذه الصفات موضوعات خصبة أمدت الأدب العربي بمعظم أفكاره ومعانيه.

" حياة العرب الاجتماعية"
. كان عرب الجاهلية فريقيين وهم : حضر وكانوا قلة وبدو وهم الكثرة
أما الحضر فكانوا يعيشون في بيوت مبنية مستقرة ويعملون في التجارة - الزراعة - الصناعة ويحيون حياة استقرار في المدن والقرى ومن هؤلاء المدن سكان مدن الحجاز : مكة -يثرب - الطائف - سكان . مدن اليمن كصنعاء - وكثيرون من رعايا مملكة المناذرة ومملكة الغساسنة
كما أنه من أشهر حضر الجاهلية سكان مكة وهم قريش أحلافها وعبيدها وكانت قوافلهم آمنة محترمة لأن الناس يحتاجون إلى خدمات قريش أثناء موسم الحج ولهذا ازدهرت تجارة قريش وكانت لها .رحلتان تجاريتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام.
وأما أهل البادية فكانت حياتهم حياة ترحال وراء منابت العشب لأنهم يعيشون على ماتنتجه أنعامهم وكانوا يحتقرون الصناعة ويتعصبون للقبيلة ظالمة أو مظلومة .

حياة العرب الأخلاقية

كانت لعرب الجاهلية أخلاق كريمة تمم الإسلام مكارمها وأيدها كما كانت لهم أخلاق ذميمة أنكرها الإسلام وعمل على محوها

فمن أخلاقهم الكريمة: الصدق- الوفاء- النجدة- حماية الذمار- الجرأة والشجاعة- العفاف- احترام الجار- الكرم وهو أشهر فضائلهم وبه مدحهم الشعراء ، أما عاداتهم الذميمة (الغزو -النهب والسلب- العصبية القبلية - وأد البنات- شرب الخمر - لعب القمار) .

حياتهم السياسية

كان العرب من حيث حياتهم السياسية ينقسمون على قسمين :
1- قسم لهم مسحة سياسية ، وهؤلاء كانوا يعيشون في إمارات مثل: إمارة الحيرة- امارة الغساسنة - إمارة كندة - مكة يمكن اعتبارها من هذا القبيل لأن نظاماً سياسياً كان ينتظمها .
2- قسم ليس لهم وضع سياسي ، وهم من البدو الرحل ينتمون إلى قبيلة معروفة وتخضع كل قبيلة لشيخها .

" " الحياة الدينية للعرب

كان معظم العرب وثنيين يعبدون الأصنام ومن أشهر أصنامهم: هبل- اللات- العزى-مناة كما كانت لهم هناك أصنام خاصة في المنازل.

كما أن من العرب من عبد الشمس والقمر والنجوم ، وكان القليل من العرب يهود أو نصارى لكنهم لم يكونوا على بصيرة وفهم لشريعتهم .

على أن فئة من عقلاء العرب لم تعجبهم سخافات الوثنية وهدتهم فطرتهم الصافية فعدلوا عن عبادة الأصنام وعبدوا الله على ملة ابراهيم عليه السلام وكانوا يسمون الحنفاء .

ومن هؤلاء: قس بن ساعدة - ورقة بن نوفل - أبو بكر الصديق - كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد في الغار على ملة ابراهيم فكان أيضا من الحنفاء .

مظاهر الحياة العقلية عند العرب

*تمهيد:

* يجدر بنا قبل دراسة بعض نماذج الأدب الجاهلي من (الشعر والنثر) وإن كان النثر قليلا جدا مقارنة بالشعر أن نقدم بهذه اللمحة عن بيئة الأدب،و مظاهر الحياة العربية المختلفة من سياسية، واجتماعية، ودينية وعقلية فالأدب صورة للحياة وللنفس وللبيئة الطبيعية و الاجتماعية.

* ويطلق الأدب الجاهلي على أدب تلك الفترة التي سبقت الإسلام بنحو مائة وثلاثين عام قبل الهجرة.وقد شب هذا الأدب وترعرع في بلاد العرب،يستمد موضوعاته ومعانيه،ويستلهم نظراته وعواطفه من بيئتها الطبيعية والاجتماعية والفكرية،ويحدد لنا بشعره ونثره فكرة صادقة عن تلك البيئة.مما يعين الدارس على فهم أدب ذلك العصر،واستنتاج خصائصه التي تميزه عن سائر العصور الأدبية التي جاءت بعده مع أن الكثير منه مجهول لضياع أثاره ولا نعرف عنه إلا القليل.

لغة العرب:

* اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية التي نشأت عن أصل واحد،وهيالاشورية والعبرية والسريانية والحبشية)،وتقتصر اللغات العربية في كتابتها على الحروف دون الحركات،ويزيد حروفها عن اللغات الآرية مع كثرة الاشتقاق في صيغها وقد مرت اللغة العربية بأطوار غابت عنها مراحلها الأولى،ولكن مؤرخي العربية اتفقوا على أن للعرب منذ القديم لغتين:جنوبية أو قحطا نية،ولها حروف تخالف الحروف المعروفة، وشمالية أو عدنانية،وهي أحدث من لغة الجنوب،وكل ما وصلنا من شعر جاهلي فهو بلغة الشمال،لأن الشعراء الذين وصلتنا أشعارهم إما من قبيلة ربيعة أو مضر،وهما منا القبائل العدنانية،أو من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال، كطيئ وكندة و تنوخ،وقد تقاربت اللغتان على مر الأيام

بسبب الاتصال عن طريق الحروب و التجارة والأسواق الأدبية كسوق عكاظ قرب الطائف،وذي المجاز و مجنة قرب مكة. وبذلك تغلبت اللغة العدنانية على القحطانية،وحين نزل القران الكريم بلغة قريش،تمت السيادة للغة العدنانية،وأصبحت معروفة باللغة الفصحى. وقد كان لنزول القران بها اثر في رقيها وحفظها وإثرائها بكمية هائلة من الألفاظ و التعبيرات و المعاني مما أعان على بسط نفوذها،واستمرار الارتقاء بها في المجالات العلمية والأدبية إلى عصرنا الحالي.

*حياة العرب العقلية:

* العلم نتيجة الحضارة،وفي مثل الظروف الاجتماعية التي عاشها العرب،لا يكون علم منظم،ولا علماء يتوافرون على العلم،يدونون قواعده و يوضحون مناهجه إذ أن وسائل العيش لا تتوافر،ولذلك فإن كثيرا منهم لا يجدون من وقتهم ما يمكنهم من التفرغ للعلم،والبحث في نظرياته وقضاياه.

* وإذا كانت حياة العرب لم تساعدهم على تحقيق تقدم في مجال الكتب والعمل المنظم،فهناك الطبيعة المفتوحة بين أيديهم،و تجارب الحياة العملية وما يهديهم إليه العقل الفطري،وهذا ما كان في الجاهلية،فقد عرفوا كثيرا من النجوم ومواقعها،والأنواء وأوقاتها،واهتدوا إلى نوع من الطب توارثوه جيلا بعد جيل،وكان لهم سبق في علم الأنساب والفراسة،إلى جانب درايتهم القيافة والكهانة،كما كانت لهم نظرات في الحياة. *أما الفلسفة بمفهومها العلمي المنظم،فلم يصل إليها العرب في جاهليتهم ،وإن كانت لهم خطرات فلسفية لا تتطلب إلا التفات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون،من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد،من مثل قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

* واكبر ما يتميز به العرب الذكاء وحضور البديهة وفصاحة القول لذلك كان أكبر مظاهر حياتهم الفكرية: لغتهم وشعرهم وخطبهم ووصاياهم و أمثالهم.

م/ مصادر الشعر الجاهلي ومدوناته

1- رواية الشعر الجاهلي :

شكَّل السماع اساساً للرواية عند العرب قبل ظهور التدوين , فعُدت الرواية المتصلة من الجاهلية حتى القرن الثاني الهجري لم يشبها تقطيع أو (انقطاع) اذ ان رواية الجاهلية : اشعارها , اخبارها لم تنقطع منذ الجاهلية , بل لقد اتصلت في زمن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وخلفائه الراشدين واستمرت طوال القرن الاول حتى تسلمها العلماء الرواة من رجال القرن الثاني, ولم تكن ثمة فجوة تفصل بين هؤلاء الرواة العلماء عن العصر الجاهلي انما تلقفوه عمن تقدمهم وورثوه عمن سبقهم رواية متصلة وسلسلة محكمة .

الرواية بمدلولها القديم تعني الحيوان الذي يحمل الماء من منابعه كالعيون والابار الى اماكن الاقامة والسكن ، اما الرواية بمدلولها العلمي الادبي , طورٌ لغويٌ متأخر , كانت في بدأ امرها محصورة فيما يتصل بالماء , ومن حيوان يُحمل عليه كالبعير , أو من انسان يحمله مستقياً أو متعهداً دابة السقاية .

مجازاً : حمل الشعر او الحديث , فقالوا : فلان راوية للادب والشعر , وراوية للحديث . وراوية الشعر في الجاهلية هو من يحمل شعر الشاعر وينقله ويذيعه . قال عَميرة بن جُعل . وكان قد هجا قومَهُ بني اسد ثعلب ثم ندم :

نَدِمتُ على شَتمِ العشيرةِ بعدما مَضَت واستتبت للرواةِ مذاهِبَهُ

فأصبحتُ لا استطيعُ دفعاً لما مضى كما لا يُرَدُّ الدَّرَّ في الضِرعِ حالِبُهُ

فالرواية هي الوسيلة الاولى لنشر الشعر وذيوعه وحفظه ، فما يكاد الشاعر يُلقي قصيدته حتى تذهب بها الرواة كل مذهب ، وتذيع بين الناس ، فإذا ما ظهرت للناس فلا يستطيع احد ان يحول بينها وبين الانتشار .

ولما كان العرب في العصر الجاهلي يعتمدون في نقل اشعارهم على المشافهة ، كان للشاعر راوية او اكثر من راوية ، يلازمه وينقل عنه شعره , بل ان الشعراء يروى بعضهم عن بعض , فالشاعر الكبير يأخذ عنه شعراء صغار , يحفظون ويرونه بأسلوبه , نجد ذلك في القبيلة الواحدة (فالاعشى) كان راوية لخاله (المسيّب بن عَلَس) و (ابي ذؤيب الهذلي) الذي كان راوية لساعدة بن جؤية الهُذلي , وكذلك نجد الرواية بين شعراء من قبائل مختلفة , فعن (اوس بن حجر التميمي اخذ زُهير بن ابي سُلمى المُزني , وعن زهير اخذ ابنه كعب والحطيئة العبسي , , وعن الحطيئة روى

هُدبة بن الخشرم العذري , وعن هُدبة روى جميل بثينة بن معمر , وعن جميل اخذ كُثير عزة.

وهكذا نجد السلسة من الرواة الشعراء يروى بعضهم عن بعض يتعلم منه وينهج نهجه, مقلدا في بدايته مبدعاً عند نضجه .

ولم يكن الامر مقتصرا على الشعراء او على مجموعة من الرواة , بل كانت القبيلة تحرص على رواية شعرها , فتعلم صغارها الشعر وحفظ اشعار القبيلة خاصة , كما كانت تفعل قبيلة تغلِب التي هجاها الشاعر البكري على كثرة احتفالها بقصيدة عمرو بن كُلثُوم :

أُلهيَّ بني تَغلِّب عن كلِ مكرمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بنِ كُلثُومِ

يروَونها ابداً مُـذ كـان أولَهُـم يالرجالِ لشعرٍ غيرِ مسئُومِ.

وبقيَّ هذا شأن الشعر حتى جاء الاسلام , وعلى الرغم من انشغال العرب بالدين وانصرافهم الى القران والفتوح فان لم يهجروا الشعر ولم يتركوا روايته وسماعه , وكلام ابن سلاَّم عن انشغال العرب بالاسلام بقوله :(فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد ,... , كثُر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت الامصار , راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب , وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل , فحفظوا اقل ذلك , وذهب عليهم منه كثير).

يحتاج هذا القول الى فضل بيان يوضحه , ذلك ان الرواية بقيت متصلة , فقد كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يستمع الى الشعر ويسال الشعراء ان ينشدوه . فيستحسن منه ويدعو لقائليه ويجيز عليه الشعراء , يستمع الى قول لبيد بن ربيعة :

الا كلُّ شئٍ ماخلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ .

فيقول :" اصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد" .

واتصلت الرواية في عهد الخلفاء الراشدين , وكان لهم نصيب من رواية الشعر وانشاده وحفظه , فقد كان عمر بن الخطاب (رضي) يتمثل بالشعر في كل مناسبة . وكان يعجب بشعر زُهير بن ابي سُلمى .

وفي العهد الاموي نشطت الحركة الادبية وعلت مكانة الشعر والشعراء , وصارت مجالس الخلفاء والولاة منتديات ادبية تنشد فيها القصائد وتروى الاشعار , ويتبارى الرواة الى ذكر النادر والغريب من الشعر والاحاديث والاخبار .

وقد كَثُر المؤدبون في هذا العصر يعلمون الناشئة الشعر والأخبار واللغة ومن هؤلاء المؤدبين المفضل الضبي والكميت والطرماح .

وقد تضافرت جهود كثيرة لجمع الشعر وروايته وحفظه فالى جانب الرواة والشعراء كانت هناك فئة من القصاص الذين يجتمع حولهم الناس في المساجد , يقصون عليهم ويحفظونهم ويتمثلون بالشعر في احاديثهم .

وفي منتصف القرن الثاني نجد جمهرة من الرواة والعلماء المحترفين انصرفوا للرواية وتفرغوا لها , عرفوا بكثرة حفظهم وسعة علمهم وإحاطتهم باللغة والشعر والأخبار والأيام , انطلقوا نحو البادية يأخذون عن الاعراب يقيدون شعرهم وأخبارهم الجاهلية والإسلامية .

وقد صار الرواة في هذا العصر فئتين , لكل منهما منهج وأسلوب اولاهما كوفية , وثانيهما بصرية .

وقد عُرِف الكوفيون بنقل الشعر الكثير وعمادهم السماع , وهم متسامحون في رواية الشعر , قليلا ما يقفون عنده ليحققوا صحيحه وفاسده , لذلك كان شعرهم اكثر وأغزر , قال ابو الطيب اللغوي:" والشعر بالكوفة اكثر واجمع منه بالبصرة , ولكن اكثره مصنوع منسوب الى من لم يقله وذلك بيّن في دواوينهم ". وليس غريب ان تلتصق بهم هذه التهمة فكبير رواة الكوفة (حماد الراوية) المعروف بتزيده وكذبه ولد سنة (95هـ) و(ت سنة 156هـ) , وكان فاسد المروءة ماجناً زنديقاً , يُحسن نظم الشعر , فيُفسد شعر الجاهلية بما يحمل عليه ماليس فيه . قال ابن سلاَّم : ((كان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الراوية , وكان غير موثوق به , كان ينحل شعر الرجل غيره , وينحله غير شعره , ويزيد في الاشعار)) . نشأ لصاً يتشطر قبل ان تتصل حياته بالرواية , روى ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب (الاغاني) ان حماداً كان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص , ويروى عن كثرة حفظه ما يعد من الاعاجيب.

يلاحظ ان الرواة المتهمين بفساد روايتهم سواء اكانوا في البصرة ام في الكوفة اكثرهم من اصول غير عربية .

والى جانب الرواة غير الثقة في الكوفة , هناك الكثير من الرواة الثقات الذين حفظوا الشعر ونقلوه , بأمانة ودقه , وهم من لا يرقى الشك الى رواياتهم , وعلى رأس هؤلاء الاعلام (المفضل الضبي المتوفى 170هـ) وقد اجمع الكوفيون والبصريون على توثيقه , وشهدوا له بالعلم والدقة والامانة .

ومن رواة الكوفة الثقات الذين خلفوا المفضل الضبي وساروا على نهج (ابو عمرو الشيباني ت 213هـ) و(ابن الاعرابي ت 231هـ) و (ابن السكيت ت 244هـ) و(ثعلب ت 291هـ) . وكلهم كانوا على درجة كبيرة من الثقة والصدق .

واذا عدنا الى البصرة نجد الرواية تتسم بالدقة والصدق , واكثر رواتهم موثوق بهم , وكان شيخ الرواة ابو عمرو بن العلاء (ت 154هـ) , وقد عُرِفَ بصدقه وامانته , فهو احد القراء السبعة الذين أُخذت عنهم تلاوة القران الكريم , وكان من اوائل النحاة في البصرة ولد سنة 70 هـ وتوفي سنة 154 هـ او 159هـ .

ومثلما كان في الكوفة رواة فاسدون كذابون مزورون , فكذلك كان في البصرة مثل اولئك , ولعل ابرزهم خلف الاحمر الذي سار بسيرة استاذه حماد الراوية , فقد اخذ عنه وتلمذ له , وان خلفا كان يعطي حمادا المنحول من الشعر فيقبله من حماد ويرويه , وخلفا من الاعاجم (المتوفى حوالي 180 هـ) وكان عالماً باخبار العرب واشعارها , وكان شاعراً حاذقاً ذكياً كثير الحفظ .

ومثلما كان في الكوفة رواة ثقات يتصدون للوضاعين ويتحامون روايتهم , فكذلك كان في البصرة كالاصمعي (عبد الملك بن قريب) وهو عربي شهد له معاصروه بسعة علمه بشعر الجاهلية واخبارها وايامها , كما شهدوا له بالدقة والصدق والامانة , فهو عدلٌ ثقةٌ .

ومثل الاصمعي في دقته وصدقه (ابو زيد الانصاري ت سنة 214 او 215 هـ) وهو عربيٌ من الخزرج وكان معاصر للاصمعي عالماً باللهجات واللغات الشاذة ويعاصره عالمٌ آخر وهو (ابو عبيدة معمر بن المثنى المولود سنة 110 على التقريب والمتوفى سنة 211هـ) وهو من الموالي المتهمين بالشعوبية , ولولا هذه النزعة فيه لكان من المتقدمين الثقات .

ويأتي بعد هؤلاء رواة هم في مرتبة ادنى من سابقيهم , مثل محمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ) , وابنه هشام بن محمد الكلبي (ت 204هـ) , وهما متهمان بالوضع في روايتهما , واخبارهما التاريخية .

يتضح مما تقدم ان الشعر الجاهلي حُمِلَ الينا عن طريق الرواة مشافهةً حتى نهاية القرن الهجري الاول , حيث بدأ عصر التدوين عند ظهور ، ولا بُدَّ لنا من تقدم لمحة في تاريخ التدوين من حيث انتهينا عن الرواة العلماء بوصفهم ابطال المرحلة الشفوية الثانية الى ان انتهى بين ايدينا الان .

يقول شيخ الرواة ابو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله , ولو جاءكم وافرا لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير . وبرَّر محمد بن سلام هذا الضياع للشعر بهلاك الرواة في الحرب , وعلى هذا تكون الرواية الشفوية قد اوصلت الامانة بجدارة

لكن الموت كان اقوى منها فضاع الشعر , وبذلك يكون الشعر العربي قبل الاسلام قد تعرض لنكبتين , الاولى عندما ضاع في مرحلة الرواية الشفوية , والثانية عندما غُزيت بغداد وتفرقت الكتب في الامصار والبلدان , هذا الى جانب قلة الكتابة في العصر الجاهلي , وسرعة تلف المواد التي يكتب عليها في العصور الاسلامية .

والمفضليات والاصمعيات تدخلان ضمن الموارد الكلاسيكية الاسلامية التي حوَّت الشعر الجاهلي , لكننا لم نتسلم أي كتاب لابي عمرو بن العلاء , ولا نسخ المعلقات التي دونها حماد الراوية , وانما وصلت الينا عن طريق العلماء الذين اعقبوه , مثل ابي زيد القرشي صاحب كتاب جمهرة اشعار العرب .

واما دواوين الشعراء فقد جمعت على ايدي رواة الجيل الثالث مثل ابي عمرو الشيباني والسكري , وكذلك فعلوا مع دواوين القبائل ومجموعة الحماسات والاختيارات والمنتخبات .

ولا بد لنا ان نتحدث عن بعض المصادر العربية القديمة التي دونت الشعر الجاهلي وحملته الينا :

1- المعلقات

2- المفضليات والاصمعيات.

3- كتاب الاختيارين .

4- حماسة ابي تمام .

5- جمهرة اشعار العرب .

6- دواوين الشعراء .

1- <u>المعلقات :</u> من الراجح حقاً ان حماداً الراوية (ت 158هـ) هو الذي اختار هذه القصائد ... وهذا الاختيار يعني ان ذوق حماد هو الذي تحكم في ذلك ولا بُدَّ ان تكون في ذهن حماد وهو ينتقي هذا الانتقاء احكام ومقاييس لمواصفات معينة , تتعلق بشخصية المختار لهم وطبيعة تكوين القصيدة والبناء الذي قامت عليه والطريقة التي استخدمت في ذلك , والموضوعات المتداخلة التي تعرضت لها وربما احكام اخرى لم نهتدِ اليها .

والمعلقات مجموعة من القصائد الطويلة والكاملة تعود كل واحد منها الى شاعر بعينه , وقد اتفق الرواة على تحديد نسبتها الى اصحابها , غير انهم اختلفوا في عددها وتسميتها .

فقد سميت المعلقات باسماء مختلفة , وعرفت منذ القدم باسم المعلقات وبالمذهبات وبالسبع الطوال , وبالسموط , وفي تسميتها باسم المعلقات خلاف :

فقد تكون هذه التسمية بمعنى الكتابة , فقد روى ان الملك من العرب كان اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه , أي اكتبوها لتكون في خزانتي .

وقد يكون اشتقاق المعلقات من(العلق) بمعنى الشيء النفيس تشبيها بهذه القصائد بالاعلاق لجودتها ونفاستها .

وبهذا الخصوص يقول ابن عبد ربه الاندلسي (ت 328هـ) في العقد الفريد اذ كان الشعر ديوان العرب خاصةً , والمنظوم من كلامها , والمُقيّد لايامها , والشاهد على احكامها , وقد بلغ من كلف العرب به , وتفضيلها له الى سبع قصائد تَخَيّرتها من الشعر العربي القديم , فكتبتها بماء الذهب في القباطي * وعلقتها بين استار الكعبة , فمنه يقال : مذهبة امرؤ القيس , ومذهبة زهير , ومذهبة طرفة , والمذهبات سبع , ويقال لها المعلقات .

وقال ابو جعفر النحاس من علماء القرن الرابع (ت 338هـ) كان من اوائل شرَّاح المعلقات . قال : ((ولم يثبت ما ذكره الناس من انها كانت تعلق على الكعبة)) .غير ا ن ابا زيدٍ القَرشي من علماء القرن الرابع الهجري كذلك اورد رواية عن المعلقات واصحابها فذكر ان المفضل الضبي قال :" امرؤ القيس بن حَجَر بن عمرو , وزهير بن ابي سُلمى , ونابغة بني ذبيان , والاعشى البكري , ولبيد بن ربيعة , وطرفة بن العبد , وعمرو بن كُلثُوم ,... قال المفضل هؤلاء هم اصحاب السبعة الطوال التي تسميها العرب السموط , فمن زعم ان في السبعة شيئا لاحد غيرهم فقد اخطأ , وخالف ما اجمع عليه اهل العلم والمعرفة:.

اما ابن خِلدون من علماء القرن الثامن واوائل القرن التاسع (ت 808هـ) فقد قال في مقدمته : ((اعلم ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم , واخبارهم وحكمهم , وكان رؤساء العرب منافسين فيه)) .

اما عبد القادر البغدادي (ت 1093هـ) من علماء القرن الحادي عشر الهجري فقد قال في خزانته : ((معنى المعلقة اذ كانت العرب تسميها المذهبة بصيغة اسم المفعول من الاذهاب او التذهيب , وهما بمعنى التمويه والتطلية بالذهب .. . حيث ان العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في اقصى الارض ولا يعبأ به , ولا ينشده احد حتى ياتي موسم الحج فيعرضه على اندية قريش , فأن استحسنوه روى وكان فخراً لقائله , وعُلِّق على ركن من اركان الكعبة , حتى ينظر اليه , وان لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به)) .

ومن الباحثين المحدثين , فقد ذهب الدكتور شوقي ضيف الى : ((انها لم تعلق بالكعبة كما زعم بعض المتأخرين , وانما سُميَّ بذلك لنفاستها , اخذاً من كلمة العلق , بمعنى النفيس , ويقال ا ن أول من رواها مجموعة في ديوانٍ خاص بها , هو حماد الراوية)) .

هذه هي المسألة الاولى في خبر التعليق , واذا حاولنا ان نسير في هذا الخط ونتابع قضية اختيار الشعراء او تحديدهم وجدنا القائمة تتبدل من حيث العدد , منهم اربعة شعراء عند ابن سلام الجمحي (ت231هـ) في الطبقة الاولى , وستة شعراء عند الاصمعي في كتابه القصائد , وابن الانباري (ت 328هـ) صاحب كتاب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات يجعلهم سبعة شعراء تتطابق قائمته مع قائمة حماد .

اما المفضل الضبي (المتوفى في حدود سنة 168هـ) فيجعلهم سبعة ايضا ولكنه يسقط الحارث بن حلزة اليشكري وعنترة ويسبدلهما بالنابغة والاعشى , ومثله ابو عبيدة الذي يجعلهم (سبعة) بأختلاف اثنين من الشعراء .

ثم يأتي ابن النحاس (المتوفى 338هـ) فيحصي تسعة جامعاً بين روايتي حماد والمفضل , وسماها (شرح القصائد التسع المشهورات).

اما ابو زيد القرشي من رجال القرن الرابع الهجري ' فيجعلهم سبعة على وفق رواية المفضل .

ولكن الزوزني (ت486هـ) يقدم قائمته بسبعة شعراء مطابقة لرواية حماد وسماها (شرح المعلقات السبع) .

ويختم هذه القوائم التبريزي المتوفى (502 هـ) بالقصائد العشر بعد ان يضيف الى التسعة المشهورين عبيد بن الابرص , وشرحه هو شرح القصائد العشر المشهورات .

1- شرح القصائد السبع الطوال لابن الانباريَّ (ت 328هـ) , تحقيق عبد السلام هارون .

2- شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس(ت 338هـ) اذ اضاف قصيدتين النابغة والاعشى , تحقيق : د. احمد خطَّاب .

3- شرح المعلقات السبع لابي عبد الله الزوزني (ت 486هـ) .

4- شرح القصائد العشر المشهورات , للخطيب التبريزي (ت502هـ) اذ اضاف لشرح القصائد التسع المشهورات قصيدة عبيد بن الابرص . بتحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , وفخر الدين قباوة .

2- المفضليات : لا تعلم احداً قبل المفضل الضبي (ت 168 او 170 هـ) أقدم على ان يصنع للناس اختيارا من الشعر العربي فالمفضليات من كتب الاختيار , يعود تأليفها الى وقتٍ مبكرٍ نسبياً , وذلك حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة , والمفضل علاَّمة راوية للأخبار والاداب وايام العرب موفق في روايته , واحد القُرَاء البارزين الذي اخذوا عن عاصم , وهو كوفي , قال عنه ابن سلام الجُمحي:" اعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي" .

السبب المباشر لأختيار هذه القصائد هو التكليف الرسمي الذي جاء على لسان الخليفة العباسي المنصور حين طلب من المفضل الضبي ان يكون مؤدبا لابنه , وقد تختفي وراء ذلك رغبة حقيقية كانت تعمل في نفس الراوية الكبير وهو يصفي الشعر مما علق به , اخذ المفضل الضبي على عاتقه مهمة الاختيار هذه , ولكنها لم تكن منظمة مما يبدو , وانما كانت تأتي على وفق ما يقع عليه ذوقه , وعلى وفق ما يتبادر الى ذهنه من نصوص , ولعله كان يجد فيها استشهاداً مقبولا أو نصاً معبراً أو قصيدة شعرية تأخذ مكانتها في نفسه او نفوس معاصريه , ولكنه كان يسعى وكما طلب اليه ان تكون النماذج الشعرية لها طابع التأديب , الذي يُحمل النفس على الاتصاف بالخَلق الرفيع والتمثل بالشجاعة والكرم والتحلي بالمُثُل العربية الاصيلة .

ومن المرجح ان المفضل , او من اضاف الى المفضليات من طلابه كان يحاول ان يختار للشاعر اكثر من قطعة في بعض الاحيان التزاماً بمنهج معين او اعجاباً بالشاعر او لاعتبارات ذوقية او غير ذوقية , فالمرقش الاكبر يستغرق اكثر من اثنتي عشرة قطعة من المفضليات , والمرقش الاصغر خمس قطع , والحارث بن حلِزة اليشكري , وذي الاصبع العدواني وعبد المسيح والمثقب العبدي

ثلاث قطع , على حين ان تأبط شراً وابي ذؤيب الهذلي قطعة واحدة , على الرغم من شهرتهم واتساع مدى معرفتهم .

وان الحصة الكبيرة من الاختيار كانت لشعراء الجاهلية , ويليهم في الاختيار الشعراء المُخضرَمين ثم الاسلاميين وهم في وضعهم لم يخضعوا لتسلسل زمني او ترتيب على وفق غرض معين او فئة من الشعراء لهم سمة متميزة , وانه يمثل المرحلة الاولية من مراحل التأليف وانه يرسم صورة الشكل الذي كانت تتم به عملية التعليم في ذلك العصر.

تمتاز بأنها اقدم مجموعة شعرية , كما تمتاز بان قصائدها قد اثبتت فيها كاملة لم يجتزأ منها المفضل قليلاً ولا كثيراً .

2- **الاصمعيات** : الاصمعي عبد الملك بن قريب , اراد ان يسير في هذا الطريق فاختار لنفسه او لطلابه , او بأشارة من الرشيد الذي اوكل اليه تاديب ابنه الامين , مجموعة اخرى من القصائد تاثر في اختيارها بالمفضل الضبي الى حدٍ بعيدٍ , , وجعلها تأخذ الاطار الذي اخذته قصائد المفضل من حيث التبويب والترتيب والانتقاء , ولو كانت مختللفة من حيث العدد وطول المقطعات او قصرها وتحديد المختارات بالنسبة لكل شاعر والاغراض وطبيعة اصحاب الاختيارات , وما عرفوا به من خصائص او اشتهروا به من ميزات .

والذي نراه ان الاصمعي الراوية الذي اخذ نفسه برواية الشعر , كان:" قوي الذاكرة غزير المحفوظ متمكناً في اللغة عالماً بأنساب العرب وايامها واخبارها وأشعارها وأرجازها , . وصفه المبرد بانه بحر في اللغة لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية ".

ان الاصمعي حاول وضع كتاب يجمع فيه ما يناسب ذوقه ويحقق رغبته , ويرضي طموحه , ويلبي حاجة عرفت في عصره , وارتضى بها معاصروه ممن شغفوا باللغة , واهتموا بالرواية وولعوا بالشعر , كان يحاول ان تكون الاختيارات لشعراء واقعين في الدائرة المعروفة التي ينتمي اليها شعراء الاستشهاد غير مبالً بترتيب زمني لان الترتيب الزمني قضية متأخرة وغير مراعٍ شهرة الشعراء .

على الرغم من القيمة الادبية التي تمثلها هذه المجموعة تظهر مجموعة من الملاحظات لا بدَّ من الانتباه اليها وهي :

- ان شعراءها متباعدون من حيث الزمن , وان كثيراً من هذه المقطوعات لم تأخذ نسقاً واحداً من حيث التأليف فبعضها يروى مباشرةمثل : سحيم , او قال خفاف في صفة الخيل – وبعضها .. قال ابو سعيد : قرأتها على ابي عمرو بن العلاء – وبعضها وقال ابو الفضل الكناني قال ابو سعيد انشدنيها ابو عمرو بن العلاء , وهي اشارات تؤكد ان الاصمعي يروي هذه المقطعات في سياق حديث او مجال درس او تأكيد شاهد . هذا ما جعلها بعيدة عن الصورة التي وجدناها واضحة عند المفضل الضبي , كان واضحاً منهجه متمكناً من اختياراته .

3- **كتاب الاختيارين** : يمكن اعتباره ثالث هذين الكتابين في طبيعة التأليف وطريقته واسلوبه وتنظيمه , كتاب الاختيارين للأخفش الاصغر المتوفى سنة(315هـ) , حاول المؤلف ان يجمع بعض قصائد المفضليات والاصمعيات في كتابٍ واحدٍ يُعلق عليها شرحاً ويفسر بعض غريبها ويوضح المعاني البعيدة , فالكتاب يُعدُ استمراراً للكتابين الكبيرين , وتاكيدا لرأي العصر في تأييد هذا الشكل من التأليف , والإقبال عليه , وقد اجمع الرواة والمهتمون باللغة على ان هذا الاختيار يمثل الصورة الصحيحة والمتقدمة من حيث التوثيق .

يضم الكتاب ست عشرة ومائة قصيدة منها ثلاثٌ وعشرون هي في المفضليات واربع عشرة هي في بقية الاصمعيات , ومنها سبع في زيادة الكتابين الملحقة ببقية الاصمعيات , ومنها اربع عشرة هي في نسخة المفضليات بالمحقق البريطاني وثمانٍ وخمسون قصيدة ليست في الكتابين .

والطريقة التي اتبعت في الكتاب تشابه طريقة الكتابين الذين اختير منهما بعض مجموعته , فهو مصنف على غير نسق واضح حتى تداخلت اختيارات المفضل باختيارات الاصمعي , ولم يكن فيه اسانيد , فترد القصيدة وقد اسندت الى راويها او مختارها , وقد ادى ذلك الى غياب معالم الوضوح , وضياع اقسام الصورة التي احاطت بظروف التأليف , الى جانب الغموض الذي يلف بعض القصائد التي وقعت في دائرة اختيار المفضل والاصمعي ولم ينفرد بها احد . ان هذه العوامل تحيل دون تمييز قصائد كل من الاختيارين على حدة .

4-<u>كتب الحماسة</u> : تشكل دواوين الحماسة رافدا من روافد الشعر التي يستطيع من خلالها الباحثون الوقوف على اغراض الشعر واتجاهاته ومعرفة الجوانب التي عالجها الشعراء وخاصة الذين ضاعت دواوينهم , او الذين عرفوا بالمقلين او المغمورين لان هذه المجامع قد تضمنت قصائدهم المفردة , ومقطعات اشعارهم التي لم تقف عليها كتب الادب او تشير اليها مجاميع الشعر , وتعد :

- **حماسة ابي تمام** : من اكثر الحماسات قيمة واغزرها شعرا واحسنها توفيقا في الاختيار واقدمها اصولا . وقد سمي الكتاب بالحماسة وهو اسم اول ابواب الكتاب واعظمها , وقد حاول ابو تمام ان يستخدم ذوقه الفني في الاختيار على وفق ما يرتضيه حسه الشعري , وقد عني عناية خاصة بشعراء طي فكان قسطهم في الاختيار وافراً .

  وقد اخذ على ابي تمام انه كان يُغير النصوص ليستقيم له الربط بين الابيات , وكان يستبدل لفظاً بآخر لم يُعجبه , أو يحل عبارة محل اخرى يراها اجمل في النفس واوقع في الاذن , وقد اشار الى ذلك المرزوقي (ت 421هت) , في مقدمته لشرح حماسة ابي تمام فقال :" .... حتى انك تراه ينتهي الى الجيد فيه لفظه تشينه فيُجبر نقيصته من عنده , ويبدل كلمة باخرى في نقده ". وكان حرياً بالنقاد الاوائل في ذلك العصر وجلهم من اللغويين المتزمتين الذين يجلون الشعر الموروث , ان يُنكروا على ابي تمام تصرفه الشخصي في نصوص الاخرين على هذا النحو , غير انهم قبلوا ذلك منه واستملحوه ثقة منهم بذوقه وتقدير لشاعريته .

  وقد عمد ابو تمام الى تبويب حماسته , فقد جعلها في عشرة ابواب هي :

باب شعر الحماسة وهو اول الابواب واكبرها وبه سميَّ الكتاب . وباب للمراثي , وباب للآداب , وباب للنسيب , وباب للهجاء , وباب للاضياف والمديح , وباب للصفات , وباب للسير والنعاس , وباب للملح , وباب لمذمة النساء .

- **<u>حماسة البحتري :</u>** تابع البحتري (ت284هـ) ابا تمام في التأليف فوضع كتاباً في الحماسة وهو مجموعة مقطعات قصيرة موزعة على مائة واربعة وسبعين بابا , ولم يعن القدماء بشرحها , ولعل دراسة الجوانب التي وقف عليها البحتري تمثل التوجه النفسي الذي كان يعتريه وهو ينتقي مقطعاته ويختار ابياتها , الى جانب تأكيده واهتمامه , بشاعرين عرفا بالزهد واشتهرا بالحكمة وهما صالح بن عبد القدوس ويحيى بن زياد الحارثي .

وتختلف حماسة البحتري عن حماسة ابي تمام من وجوه اهمها : تبويبها الخاص الذي يقوم على مبدأ الموضوعات التفصيلية لا على مبدأ الاغراض الشعرية العامة التي كان عليه كتاب ابي تمام , فقد فصَّل البحتري في ابوابه تفصيلا زائدا , وجعل لكل معنى او موضوع عنوانا جزئيا خاصاً .

5- **<u>جمهرة اشعار العرب :</u>** من المصادر الرئيسة في دراسة الادب العربي في العصر الجاهلي والاسلامي , الى جانب المصادر التي ذكرت جمهرة اشعار العرب لأبي زيد القرشي لانه يشكل مجموعة متناسقة من حيث التبويب ومتفقة من حيث الاعداد ومتآلفة من حيث التوافق في المعنى والغرض والدلالة . وعلى الرغم من اهمية الكتاب واعتماده القصائد الكاملة الا ان صاحبه ظل مجهولا على الباحثين , وظلت اخباره غير واضحة , ومعالم عصره غير معروفة , مما دفع الكثير من الباحثين الى الاختلاف في تحديد فترته ومعرفة عصره , فابو زيد القرشي لم يكن اسما حقيقيا للمؤلف وانما هو كنيه لكثير من الاسماء التي عرفت بها .

6- **<u>دواوين الشعراء:</u>** ان نظرة واحدة الى ديوان شاعر جاهلي واحد تكشف عن الاهتمام الذي وجدته زاوية الشعر عند هؤلاء . فديوان امرئ القيس يروى برواية الاصمعي , وابي عمرو الشيباني , وابن السكيت , وابي سعيد السكري .

وديوان زهير بن ابي سُلمى جمعه ابن السكيت والطوسي والسكري والاعلم الشنتمري .

واصول ديوان امرئ القيس وزهير – وبقية الدواوين – قسمان : اصول بصرية واصول كوفية , واذا أعدنا النظر فيما جمعه العلماء لديوان زهير وجدنا ان رواياته تنحدر عن هذين الاصلين , فأصوله البصرية تنحدر عن رواية ابي عبيدة معمر بن المثنى وابي سعيد عبد الملك بن قُريب الاصمعي .

وتنحدر اصوله الكوفية عن حماد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وما نقوله في ديوان امرئ القيس نقوله في ديوان النابغة والاعشى وطرفة وغيرهم من شعراء الجاهلية الذي وصلت الينا دواوينهم .

ان اهتمام بعض هؤلاء الرواة لم تقتصر على الدواوين المفردة , وانما تعداها الى دواوين القبائل التي جمعت حشدا كبيرا منها , فالآمدي (ت 370هـ) يذكر ستين ديواناً تبدأ بأشعار الازد وتنتهي بهذيل ويشكر , ولكن الامدي لم ينسبها الى جامع او صانع .

ويذكر ابن النديم (ت 385هـ) ثمانية وعشرين ديوانا من دواوين القبائل وهي في اغلبها منسوبة الى السكري .

ولم يكن السكري وحده قد عمل هذه المهمة الكبيرة والشاقة , وانما تحمل معه رواة آخرون فكان ابو عبيدة معمر بن المثنى , وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب من الرواة المهتمين بهذا الحقل .

ان هذه الصورة التي تعكسها الاخبار توضح الجانب الحقيقي للحركة الشعرية العربية عبر مسيرتها من العصر الجاهلي حتى عصر التدوين .

فنون الشعر الجاهلي (أغراض الشعر وفنونه)

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عرضا في قصيدته ، وهي عادة ((امور ممهدة)) للفن ((الغرض الرئيسي)) الذي يومي اليه الشاعر ، ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين فيها . واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

1ـــــ الغزل : أهم الفنون , وابرز الموضـــوعات وأعلقها بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان هو فن الغزل , وقد لقيَ الغزل عناية كبيرة من الشعراء , سجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم , تنالوا المرأة فذكروا محاسـنها وصـفاتها وسـحرها , وما يفعل فيهم من الشـوق والحنين , ولم يحفل العرب بشـيء احتفالهم بالغزل , سـواء أكان صـادراً عن القلب تفرد له القصائد أم كان تقليداً مستحباً تفتح به المطولات ويستراح إليه بعد رحلة الشعر .

وترد في هذا المجال كلمتان مع الغزل ,هما النسيب والتشبيب وكلها مستعملة في الموضوع نفسه , فهل لكل منهما مدلول معين , أو أنها استعمالات لمدلول واحد ؟

يقول ابن سيدة :" إن الغزل تحديث الفتيان الجواري , والتغزل تكلف ذلك , والنسيب التغزل بهن في الشعر , والتشبيب مثله" **وفي اللسان** :" والغزل حديث الفتيان للفتيات , واللهو مع النســـاء , ومغازلتهن : محادثتهن ومراودتهن والتغزل : التكلف لذلك , **وفي المثل** : هو اغزل من امرئ القيس , . وحاول بعض القدامى أن يعطى كل كلمة مدلولاً مختلفاً , **فقال التبريزي** : " النسيب : ذكر الشاعر المرأة بالحسن والإخبار عن تصـــرف هواها به , وليس هو الغزل , وإنما الغزل : الاشـــتهار بمودات النســـاء والصبوة إليهن , والنسيب : ذكر ذلك والخبر عنه " . **أما قدامة بن جعفر** يقول :" إن النســـيب ذكر أخلاق النســـاء وأخلاقهن وتصـــرف أحوال الهوى به معهن , والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهم من اجله فكان النسيب ذكر الغزل , والغزل المعنى نفسه , والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء " .

يقول ابن رشيق :" والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد " .واخف الكلمات وأكثرها شيوعا واستعمالا هي الغزل فعليها المعول .

وكان من شغفهم بالغزل أن جعلوه أول موضوع يبتدئون به القصائد الطوال , سواء أكانوا يذكرون الغزل مباشـــرة , أم يذكرون الديار ديار الحبيبة , لتنقلهم إلى ذكرها والتغزل بها وســـرد ذكرياتهم وأيامهم , وقد لاحظ القدامى ذلك , فقال ابن قتيبة :" وســـمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصـــد القصـــيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار , فبكى وشـكا وخاطب الربع واسـتوقف الرفيق ليجعل ذلك سـببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ".

والمرأة هي موضوع الغزل وقد تعارف الجاهليون ـ ومن جاء بعدهم ـ على مقاييس في الجمال أحبوها في المرأة وصورها أكثر من شاعر. والشاعر البدوي كان يسلك

سبيل الغزل الصريح الذي يجسد من خلاله الصفات الجسمانية البارزة في المرأة ، اذ كام يحب المرأة الفخمة الممتلئة والتي تعجز ان تنهض من الارض الا بمعونة جواريها ، وكذلك كانوا الحور (شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها) ويحبون كذلك الشعر الكثيف .... اما اهل الحضر فكانوا يحبون المرأة العبلة التي لا تبلغ في السمن كثيرا" وقد ذكرها امرؤ القيس في معلقته : ((مهفهفة بيضاء غير مفاضة)) اذ يقول :

مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ ترائبها مصقولةٌ كالسَجنجـــلِ
وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليس بفاحشٍ إذا هـــي نصَتـــه ولا بمعطَـــلِ
تضيء الظلامَ بالعِشا كأنهـا منارةُ مُمسـى راهـبٍ مُتبتـَلِ

وعلى الرغم من جرأة أمرئ القيس وما عرف عنه في الأوصـــاف الحســية في تصوير جسم المرأة والمجاهرة بالخلوات , ومثله عمرو بن كُلثُوم , إلا أنهم لم ينسوا الجوانب الاخلاقية والنفســية , فقد ذكروا المرأة بالحياء والعفة والتمنع , ومن ذلك ان الأعشى يصف حبيبته هريرة بأنها حبيبة إلى الجيران كما هي حبيبة إلى نفسه , وهي عفيفة كتوم السر لا تفضح أسرار جيرانها :

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
كأن مشيتها مـــن بيت جارتها مـــر السحابة ، لا ريـــثٌ ولا عجـــــل
ليست كمن يكره الجيرانُ طلعتَها ولا تـــراها لســـر الجـــار تختَتِـــــلُ

وهناك طائفة من الشعراء لم ينصرف همهم إلى وصف محاسن المرأة وأعضائها , بل راحوا الى تصور ما يلقاه العاشق المحب من شوق ووجد وهيام , وما يعانيه من الم ولوعة البعاد , وكيف يسهر الليل ويراقب النجوم , كقول سويد بن أبي كاهل :

هيَجَ الشوقَ خيالٌ زائرٌ من حبيب خَفِرٍ فيه قَـدَع.

2ــ الوصف : من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون , وصفوا الطبيعة ممتلئة في حيوانها ورياضها ونباتها وديارها وإطلالها , وتأملوا في امطارها وسحبها وبرقها وظلامها فرسموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الأصيل .

وكان للحيوان اكبر الأثر في حياتهم , وهو اقرب إلى نفوســهم وعواطفهم , فقد اعتنوا به عناية خاصــة , وصـفوا جسـمه وقوته وصـفاته وعاداته وحركته وطباعه , حتى عرف بعض الشعراء بالإجادة في وصف حيوان واحد والتدقيق في وصفه , فقد برز في وصـف الخيل : امرؤ القيس والطفيل الغنوي والنابغة الجعدي , وفي وصـف الناقة : طرفة بن العبد واوس بن حجر , وفي وصـف الحمر الوحشـية : الشـماخ , اما الاعشى فقد برع في وصف الخمر وذكر مجالسها .

ولعل الناقة هي ابرز الحيوانات التي عني بها الشاعر الجاهلي , فهي مصدر الخير والشر والرزق ورفيقة السفر الصـبور تقطع الفيافي وتجاب الفلوات دون كلل أو ملل , وقد وقف الشعراء يتأملون فيها , فوصفوا جسمها القوي الضخم وشبهوه بالقصر, والقلعة الضــخمة , والصــخرة الصــلبة , ودققوا في أعضــائها فلم يغادروا عرق ولا عصـبا إلا وصـفوه أدق وصـف , ونظروا في سـرعتها ونشـاطها وعاطفتها وحنينها , فعبروا عن إحساساتها ومشاعرها بعاطفة إنسانية .

وأوصــاف الناقة لدى الشــعراء تكاد تكون متشــابهة , فهي قوية متينة صــلبة قبل الســفر , وهي نحيلة مهزولة بعد أن قطعت الفيافي وجابت الفلوات في حر الهواجر وقر الشــتاء . ولم يقف احد عند وصــف الناقة وقفة طويلة متأملة مثل طرفة بن العبد في معلقته , فقد رصد لها ثمانية وعشرين بيتا على شاكلة قوله :

واني لأُمضِي الهمَ عند احتضاره بعوجاءَ مرقالٍ تروح وتغتدِي
امونٍ كألواح الاران نسأتُهــا على لاحب كانه ظهرُ بُرْجـُدِ
تباري عناقا ناجياتٍ واتبعــت وظيفا وظيفا فوقَ مَورٍ معبَـدِ

فنراه يشبه عظامها العريضة بألواح الاران وهو تابوت السادة الأشراف , وشبه طريقها بالكســاء المخطط , ثم يتناول فقارها وعنقها وجمجمتها ومشــفرها وعينيها , كل ذلك بما اتفق له من بيئته من محسوسات , حتى ينتهي به المطاف ان يقول :

على مثلها امضي إذا قال صاحبي إلا ليتني أفديك منها وافتدي

أما بقية الشعراء وصفوا الناقة وصفا مباشرا , ولكنهم لو يطيلوا في ذلك , آثروا أن يتحدثوا عن صفاتها وأحوالها النفسية و عن طريق تشبيهها بالحيوانات الأخرى.

ولم يعن الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيل , فهي حبيبة إلى نفوســهم عزيزة عليهم , يكرمونها ويأثرونها بالطعام والشراب , وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهه وصـيده , وكانوا يقربونها عند بيوتهم ولا يرسلونها ترعى مع انعامهم حبا في المحافظة عليها يقول عنترة :

مقرَبة الشتاء ولا تراها وراءَ الحي يتبعها المضهارُ .

ولشدة عنايتهم بأنسابها وطباعها , فقد ألفوا في ذلك كتاب " انساب الخيل في الجاهلية والإسلام " لابن الكلبي . والخيل للأصمعي , والخيل لأبي عبيدة .

فأما فرس امرئ القيس الذي يبكر قبل استيقاظ الطير , فهو ضخم عظيم الجسم قصير الشعر سريع العدو , يكر ويفر ويقبل ويدبر كأنه صخرة قذفها السيل من شاهق , كميت اللون يضرب الى الصفرة التي يخالطها الأحمر, أملس الظهر صقيل المتن بحيث يزل عنه اللبد لنعومته وقوته وهو بعد ذلك كثير النشاط سريع الحركة , كالقدر حين يغلي :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكِناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابد هيكلِ .
مِكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ
كُميتٍ يزلُ اللَّبدُ عن حالِ متنه كما زلتِ الصَّفواءُ بالمتنزل

ووصفوا الثور والبقرة الوحشية , وأكثر ما يرد ذكرهما في سياق قصة من القصص , يستطردون إليهما حين يتحدثون عن الناقة فيشبهونا بهذه البقرة او ذاك الثور , أو البقرة التي افترس السبع ولدها , فيروون قصتها الحزينة المؤثرة .

وابرز من صور حزن البقرة على ولدها الذي أكلته السباع . لبيد في معلقته وكذلك فعل زهير وكذلك الأعشى الذي ساق قصة البقرة وصراعها مع كلاب الصيد الكاسرة , ويتحدث الأعشى عن الوحوش التي تفترس ولد البقرة حين تواتيها الفرصة في غفلة من أمه , ثم يصور حال هذه البقرة التي كانت راتعة مع القطيع , فلما امتلأ ضرعها باللبن طلبت فصيلها لترضعه فلم تجد منه غير بقايا عظام ودم مسفوح , وباتت ليلتها حزينة ثكلى ، قال الاعشى :

حانت ليفجعَها بابن وتطعمه لحما فقد أطعمت لحما وقد فجعا
فظل ياكلُ منها وهي راتعةٌ حَدَّ النهار تُراعي ثيرةً رتَعا
حتى إذا فِيقةٌ في ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شِقَّ النفس لو رضعا

وقد تناول الشعراء الجاهليون كل ما وقعت أعينهم عليه من حيوان الصحراء , فقد وصفوا الذئب والقطاة والباز والعقاب والغراب والنعامة والظليم والأفعى والوعول والظباء , سواء اكان وصفهم لها مباشر ام عن طريق التشبيه .

وكثيرا ما يأتي وصفهم للحيوان مرتبطا بذكر الديار التي خلت فسكنتها الوحوش واطفلت فيها بعد ان نزل المطر وأينع النبت , فصارت مرتعا ومراحا , يقول زهير في ديار حبيبته :

بها العِين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كلِ مجثم

وقد تأمل الشـعراء الجاهليون في الليل وظلامه ونجومه وسـحبه الداكنة والبرق الملتمع كانه سيوف والمطر الشديد , فافتنوا في كل ذلك . ولعل ابرز شـاعران عرفا بوصف المطر والبرق والليل هما لبيد وامرؤ القيس .

3ـــ الرثاء : هو تعبير عن خلجات قلب حزين , وفيه لوعة صادقة وحسرات , ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلى النفس , لان الرثاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة أو التكلف , والحياة الجاهلية حياة حرب ودماء وغارات يسقط أثرها القتلى , فيبكي الأهل والأصـحاب قتلاهم , ويثيرون ببكائهم دموع قبائلهم ويؤججون أحزانهم فيدفعونهم لشحذ سيوفهم . استعدادا لجولة جديدة تطفئ نار غيظهم .

وتلقانا في شعر الرثاء ثلاثة أنواع أو أساليب فمنه :

1ـ بكاء ونواح وعويل على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة كثيرة الحزن تستمطر الدموع من العيون , وكان النساء يجتمعن في مناحة صاخبة , يصحب ذلك لطم على الوجوه والصدور بالأكف , ويعرف هذا الضرب من الشعر الذي يقال في هذه المناحات بـ " <u>الندب</u> " , وقد برعت النسـاء في هذا الضـرب , وصـف الربيع بن زياد احدى هذه المناحات التي أقيمت اثر مقتل مالك بن زهير فقال :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ ساحتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساءَ حواسراً يندبْنه يلطمن اوجههن بالسحار
قد كُنَّ يخبأن الوجوهَ تسترا فاليوم قد ابرزن للنظَّـــار

وجاء الإسلام فنهى عن كل هذه الأفعال , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)) .

2ـــ وضرب آخر من الرثاء كان يتخذ شكل الثناء على الميت , وذكر فضائله وتعداد محامده , ويكون ذلك عند زيارتهم للقبور .
او اجتماعهم في مجلس يعقد لذكرى الفقيد , ويسمى ذلك (التأبين) , وكثيرا ما ينحلون الميت جميع الفضـائل والمثل العليا , من الشـجاعة والمروءة والتجدد وحماية الجار والحلم والحزم والسماحة والسيادة وما إلى ذلك من خصال الخير , وإذا قرانا في شعر الخنساء نجدها تبكي على أخيها هذه الخصال .

3ـــ ضرب ثالث من الرثاء يتجه إلى التفكر في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الأقدار ونزول البلاء وضعف الإنسان أمام نوازل الدهر ومصائب الإنسان , فيلتمس في ذلك السـلوى والصـبر والرضـا بما نزل به عن تعزيها بكثرة من نكبوا بأهلهم وكثرة الباكين حولها اذ تقول :

فلولا كثرةُ الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا أزال أرى عَجولا ونائحةً تنوحُ ليوم نحسِ
وما يبكين مثلَ أخي ولكن أُسلي النفسَ عنه بالتأسي

وقد برعت النســـاء في الرثاء ,ولعله الفن الوحيد الذي أجادت فيه المرأة , ومن يقرأ الشــعر الجاهلي يعجب لكثرة النســاء اللواتي انشــدن أشــعارا في رثاء القتلى أو التحريض على الثأر من القاتلين .

ولا شـك أن المرأة اشـد من الرجل حزنا وارق عاطفة وأكثر جزعا وأعظم لوعة , وطبيعتهن اقرب إلى الرثاء والبكاء واللوعة والأســـى , وقد تناولت المرأة في رثائها تصــوير ضــعفها وذلتها , فتتحدث الخنســاء عن شــيبها قبل أوان مشــيبها وضــعفها وجزعها وكثرة دموعها , وهي خير من صـــورت ما تلقاه في هذا , تقول في رثاء صخر :

تقولُ نساءٌ شِبتِ من غير كَبْرَةٍ وأيسرُ ممــا قد لقيتُ يُشيب
ذكرتكَ فاستعبرتُ والصدرُ كاظمٌ على غُصةٍ منها الفؤاد يذوبُ

وقد كان الرجل في الجاهلية يأتي افعالاً يشـــبه ما تأتيه المرأة من افعال الجزع والهلع من ذلك انه كان يعقر الإبل على قبر من يحب اكراما له وتحية لمثواه .

وقد كان بعضــهم يحيي رفيقه بعد موته بصــب الخمر على قبره , ولعل ذلك جاء مما يفعله الندمان عندما يشـربون الخمر على قبر صـديقهم , مثل الأعشـى الذي شـهر بالخمرة , فيقال ان رفاقه وندماءه صـــاروا بعد موته يشـــربون عند قبره , فاذا جاء نصيب الأعشى صبوا الخمر على قبره ولهذا كان قبره رطبا نديا , يقول الاسدي في رثائه لنديميه :

أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فأن لم تذوقاها أُبِلُّ ثَراكما

أو أن يلجأ في استعظام المصيبة إلى المبالغة وإشراك الطبيعة في أحزانه , يقول النابغة الذبياني في رثائه حصـــن بن حذيفة الفزاري , كيف تبقى الجبال راســـخة لم تجنح للوقوع ولم تنشر القبور موتاها , ولم تسقط السماء نجومها :

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تلفظِ الارضُ القبورَ ولم تزل نجومُ السماء والاديمُ صحيحُ

ولعل خير المراثي هي التي قالها الشـعراء في رثاء أنفسـهم عند إحسـاسـهم بدنو اجلهم في شدة أو اسر أو مرض , ومن ذلك قول المتلمس يوصي أصحابه بعد موته :

خليليَّ اما متُّ يوماً وزُحزُحتْ منایاکما فیما یزحزحه الدهــرُ
فَمُرَّا على قبري فقوما فسلما وقولا سقاك الغيثُ والقطرُ يا قبرُ

4ــ الهجاء : تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه او جماعة تنتقم منها , والشــاعر الهاجي ينفس باهاجيه عما يعتلج في صــدره من ضــغائن وأحقاد , ولذلك كان الهجاء سـلاحا من أسـلحة القتال , يضـعف الشـاعر به معنوية خصـومه ويرتبط بالوعيد والتهديد والانتقاص من أقدار الخصوم والبحث في معايبهم .

ويرتبط الهجاء عادة بالحروب ويزدهر بازدهارها , وكثيرا ما يسـبقها , وكثيرا ما يختلط بالقصائد الحماسية وبخاصة الشعر الذي يتناول الهجاء القبلي .

والهجاء طبيعة في النفس الإنســانية , وقد كان الهجاء قديما أثرا من آثار حب الانتقام والتشفي والثار , وقد اختلفت وسائله وطرقه , وكان الشعر وما زال الطريقة المثلى لفن الهجاء , وكان النثر اقل اصلاحا له .

وقد كان هم الشــعراء الهجائيين الانتقاص والنيل من خصــومهم وإضــحاك الناس منهم , ولذلك كان جرير ـ وهو من اعلام الهجاء ـ يوصي بقوله :" اذا هجوت فاضحك " وقد برع في هذه الناحية ابن الرومي فقد كان يصــور خصــومه بصــور هازئة مضـحكة كما في تصـويره البخيل الذي يتنفس لتقتيره من منخر واحد , وكقول جرير في هوان تغلب :

لو ان تغلب جمَّعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا

ويقال ان بشـارا كان يعد اشـد ما هجى به قول حماد عجرد الذي عمد الى عنصـر الاضحاك من المهجو :

ويا اقبــحَ من قــردٍ اذا مــا عمِــيَ القــردُ

ولا شـك ان نشـأة الهجاء كانت مرتبطة بالعصـبيات القبلية , وما تثيره من حروب وأحقاد , فالشــاعر لســان القبيلة الذي يذب عنها ويهجو خصــومها , لذلك نجد الهجاء مرتبطا بالفخر من ناحية وبالمديح من ناحية ثانية , مرتبطا بالفخر حين يكون هجاءً قبلياً تحركه الحروب او رغبة في الانتقام او الثأر , ومرتبطا بالمديح حين يتوجه الشــاعر الى مديح شــخص يرجو نواله فيُعَرض بخصــم ممدوحه وينال منه , فيقيم هجاءه على عنصر المفاضلة والمخابرة , وهذا اشد الهجاء واقبحه ولذلك ولذلك حين نهى عمر بن الخطاب الحطيئة عن الهجاء المقذع ســأله الحطيئة : وما المقذع ؟ فأجاب :" أن تقول هؤلاء افضـل من هؤلاء وأشـرف , وتبني شـعرا على مدح القوم وذم لمن تعاديهم " .

وقد كان خوفهم من الهجاء وأثره في نفوســهم انهم اذا هجاهم شــاعر بســوء فأنهم يتوارون منها خجلا , لانها تلازمهم وتلصـق بسـمعتهم , من ذلك ما كان من امر بني عبد المدان الذين بارك الله لهم بســعة الصــدور وطول الاجســام وغلظها , فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم حتى كسفهم حسان حين هجاهم بقوله :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن غِلظٍ جسم البغال وأحلام العصافير .

فصاروا يتوارون من الناس ويضاءلون اجسامهم خجلا من غلظها .
والهجاء الذي يبقى عالقاً في النفاس هو الذي تكون صـــياغته جميلة , ومعانيه عميقة ذات دلالة , تنال من المهجو بأسلوب ذكي طريف , كأن يتخذ طريقة الاستهانة بالخصم او تجاهله او التشكيك به كما فعل زهير بن ابي سُلمى في بل حصن حين قال :

وما ادري وسوف اخالُ ادري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ
فان تكن النســـــاء مخبـــآتٍ فَحُقَّ لكلُ محصنةٍ هِداءُ

وقد عد النقاد هذا الشـعر من اشـد الهجاء وامضـه , مع انه ترفع عن السـباب والقذف والافحاش .
وللشـعراء في هجائهم طرق واسـاليب , فمنهم الذي يحتال في اتخاذ الوسـائل الهادئة الذكية الموجعة , كأن يهزأ بخصـمه اويسـفه رايه او يقارنه بغيره ويفضـل عليه عن طريق التلميح والتعريض , ومنهم الذي يهجم على خصـمه فيذكره صـراحة وينهال عليه تهديدا ووعيدا وانذارا وشتيمة , ومن الشعراء من تناول خصمه بالهجاء الساخر , فاستهزا به وتجاهل قدره وحط من شانه وانكر عليه فخره . وسلبه كل مكرمه .

واخبث الهجاء ذلك الذي يتخذ شكل المقارنة والمخابرة , فيوازن الشـاعر بين من يريد هجاءه وبين من يريد مدحه , فيجعله اقل شـــانا , وقد برع الحطيئة في هذا الضرب من الهجاء , فتراه يقول هاجيا الزبرقان بن بدر ومادحا بني انف الناقة :

ألم اكُ جاركم فتركتموني لكلبي في ديارِكُـــم عُـــواءُ
وآنيتُ العَشاءَ الى سُهيلٍ أو الشِّعرى فطال بي الاناءُ
فلما كنت جارَكم أبيتـــــم وشرَّ مواطنِ الحَسب الاباءُ
ولما كنتُ جارَهم حبوني وفيكم كان لو شئتم حِبـــاءُ

ومشهور قوله في مدح بني انف الناقة والتعريض بقوم الزبرقان بن بدر الفزاري :
قومٌ همُ الانف والاذناب غيرُهم ومن يسوي بانف الناقة الذنبا .
وضـرب بخر من الهجاء يتناول الخصـم صـراحة ويهاجمه مهاجمة سـافرة , فيوعد ويهدد وينذر ويقذف بالشتيمة الصـريحة والسباب الواضـح , وقد يتناول هذا الضـرب الاعراض ويجاهر بالفحش والاقذاع , يقول اوس بن مغراء في هجاء بني عامر :

فلستُ بعافٍ عن شتيمـــةِ عامـــرٍ ولا حابسي عما اقولُ وعيدُهـــا
ترى الوَمَ ما عاشوا جديدا عليهم وابقى ثيابَ الابسين جديدُهـــا
لعمرك ما تبلى سرابيـــلُ عامـــرٍ من اللوم ما دامت عليها جلودُها .

ويتميز الهجاء الجاهلي بخصـائص ابرزها : قصـر قصـائد الهجاء , فأكثره مقطعات وأبيات , ويرون ان قصـر الهجاء وعفته هما اول اسباب رواجه وشهرته , والعفة امر ظاهر في هذا الشـعر فلم ينحدر الى الاقذاع والشـتم الواضـح والفحش الا الحطيئة في بعض ابياته , وشـــعرهم اقرب الى اللؤم والعتاب منه الى البذاءة والإقذاع . وقد كان النابغة بارعا في هجائه العفيف الشديد الموجع .

الأدب الجاهلي

الموضوع : بنية القصيدة الجاهلية

في الشعر الجاهلي ضربان من القصائد ، **الضرب الاول** قصائد طويلة كاملة ، وتعالج في غالبها - أكثر من موضوع واحد ، أي أن فيها مجموعه تجارب مجزأة الى مراحل و موضوعات ، مرتبطة احيانا ومفككة في أحيان أخرى ، ولذلك اسبابه وعلاته ، وهذا الضرب من الشعر هو الذي اعتنت به الدراسات قديما وحديثا ويتمثل في القصائد الطويلة المشهورة واهمها المعلقات ...

اما **الضرب الثاني** من الشعر الجاهلي فهو القصائد القصار والمقطعات ، وفيها نجد التجارب الشعورية الكاملة والصور الصادقة للحياة الجاهلية ، واصداء امينة لخفقات قلب الشاعر وترجماناً لعواطفه واحاسيسه ، وذلك لانها قصائد اصيلة لم تصدر عن صناعة او تكلف ، وتتمثل هذه القصائد بوحدة الموضوع والتجربة الشعورية الصادقة على ما فيها من سرعة وايجاز ، وعلى هذا فالحديث عن بناء القصيدة ومراحل تكوينها لا ينصرف الا الى القصائد الطوال ، هذه القصائد التي تتعدد فيها الموضوعات وتسير على نظام معين ونسق موروث سنه القدماء منذ عهد متقدم في الجاهلية ، وتبعه المتاخرون في صدر الإسلام وسار على نهجهم كثير من شعراء العصر الأموي والعباسي على تفاوت في مقدار التبعية والالتزام .

ولم تك موضوعات القصيدة أو اجزاؤها مرتجلة على غير نظام ، بل يمهد الشاعر للموضوع الذي يختاره، فيجعل له مقدمة طللية ، ينتقل بعدها وبعلاقة من تداعي الخواطر الى ذكر اهل هذه الأطلال ، وتذكر ايام الصبا والهوى ، ثم يفخر امام حبيبته ببطولته وكثرة وقائعه وشدة بلائه ، ويتداخل فخره بنفسه فخره بقبيلته ، لأنه واحد منها ومجده من أمجاده ، ومن مفاخر نفسه تجشمه الأهوال وسعية

في سبيل المجد ، وكثرة ترحاله وطول اسفاره، وفي هذه الأسفار يصحب الحيوان وبخاصة الناقة فحديثه عن الناقة جزء من رحلته ، وفي هذه الرحلة مشاهد كثيرة من طبيعة قاسية وليل مظلم وصحراء لافحة ومطر هطال ، ينصرف بعد أن ينتهي من اللوحة ليجدد القول في غرض آخر يريده او يتعرض له من حيث لا يقصد ولا يتعمد ، وغالبا ما يلخص بعد ذلك تجاربه في حكم شاردة وتامل في هذه الدنيا وغاية الإنسان فيها ومصيره وخبر من باد من الناس او من هلك من الغابرين هذا هو نظام القصيدة في عمومه ، ولكل جزء من أجزاء القصيتدة نظام خاص وعرف عند الشعراء _ متبع وسنقف عند كل جزء من أجزاء القصيدة :

١-المطلع : لقد انصرفت عناية الشعراء منذ القديم الى الاهتمام بمطالع قصائدهم ، لانها اول ما تفاجأ السامع فلا بد أن يكون لها وقع حسن ، ولذلك فقد حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة ، وقد لاحظوا كذلك التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعنى بينهما ، وكذلك لاحظوا مناسبة المطلع لموضوع القصيدة ، فاذا كان المقام مقام حزن كان الأولى بالمطلع أنينبىء بذلك من اول بيت ، واذا كان المقام مقام تهنئة أو مديح كرهوا الابتداء بما يتشاءم به ، من ذلك قول جرير في مديح عبد الملك بن مروان :

أتصحوا أم فؤادك غير صاح.

فقال له عبد الملك :" بل فؤلدك يا ابن الفاعلة ، فقد ساءه هذا المطلع ، مع أن عبد الملك يعلم أن الشاعر يخاطب نفسة ، وكذلك وقع فيه جرير ، حين دخل على عبد الملك وانشده قوله :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنها من كلىً مغريةٍ سربُ .

وكانت بعين عبد الملك ريشة وهي تدمع ابدأ . فتوهم انه خاطبه او

عرض به ، فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ، فمنعه وأمر باخراجه "

وكذلك كان أمر ابي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك حين انشده ارجوزته :

والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الافق عينُ الأحولِ.

وكان هشام احول ، فأمر به فحجب عنه مدة .

وقد مدحوا المطالع التي تناسب الحال والمقام ، كقول اوس بن حجر في ابتداء مرثيته :

ايتها النفس اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا.

وكذلك قول النابغة الذبياني الذي صور خوفه من النعمان وخوالجة النفسية في قصيدة الإعتذار فبدأها بقوله :

كليني لهم يا أُميمة ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ.

واذا جئنا إلى القصائد الطويلة التي هيا الشاعر لها كل اسباب فنه ومواهبه ،نجدها تبدأ بالديار والوقوف على الأطلال وبكائها والتأمل فيها، فالديار هي ديارالحبيبة ، ديار الذكريات ، فهي قطعة من الماضي العزيز الذي يثر في نفسه الشوق والحنين ، وهذا هو اسلوب المعلقات في الاستهلال ، فامرؤ القيس يقف على الديار ويستوقف ***:" قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل "*** وكذلك فعل طرفة حين وصف اطلال خولة ***" لخولة اطلال ببرقة ثهمد"*** وتبعهما لبيد في وصف الديار ***" عفت الديار محلها فمقامها "*** وزهير يتحدث عن دمن ام اوفي " أمن أم اوفي دمنة " وعنترة يتعرف على الديار بعد طول توهم "هل غادر الشعراء من متردم" والحارث بن حلزة يعدد مواقع اسماء ويحددها ***" آذنتنا بينها اسماء"*** ، ولم يشذ عن هذه السنة من أصحاب المعلقات الا عمرو بن كلثوم فقد كان مندفعا الى الكأس وشربها ليهيء نفسه لعتاب عمرو بن هند فبدأها بقوله***" الاهبي بصحنك فاصبحينا "***

هذا هو الأسلوب العام في ابتداء المطولات ، ولكن هذا لا يعني أن

كل الشعر الجاهلي كان يفتتح بذكر الديار ، فكما شذ عمرو بن كلثوم في معلقته ، فقد نشزت قصائد كثيرة عن هذا الأسلوب ، فمن الشعراء من استبدل الديار بالغزل والحديث عن النفس كما فعل زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي يمدح بها حصن بن بدر الفزاري :

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُه وعرّي أفراس الصَّبا ورواحِلُه
وأقصرتُ عما تعلمين وسُدِدتْ عليَّ سوى قصد السبيل معادِلُه.

وعلى هذه الشاكلة من الخروج على قاعدة البدأ بالديار شعر الصعاليك في اكثره. فهو يستعيض عن الديار بمحاورة النساء اللواتي يشفقن عليهم من خوض الغمرات والوقوع في المهالك ، على شاكلة قول عمرو بن براقة :

تقولُ سُلَيمى لا تعرَّض لتلفةٍ وليلُك عن ليلِ الصعاليك نائمُ
وكيف ينامُ الليلَ من جُلَ مالهِ حُسامٌ كلونِ المِلح ابيضُ صارمُ

مطولات الشعر الجاهلي تدور مطالعها حول الديار واذا اضربت عن ذكر الديارفالى ذكر المراة والتشبيب بها ، واحاديث النفس ، اما بعض القصائد لم تذكر الديار ولا المراة ، وبخاصة القصائد القصار والمقطوعات ، وهذا لايقاس عليها لانها تجربة شعورية محدودة ، ولكن القصائد الطوال تتناول هذين الموضوعين : المراة والديار ، والديار ديار المراة ، وذكر المراة في موطن الذكريات وهي الديار.

يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦ ه) :" سمعت بعض أهل الأدب يذكر ان مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والاثار ، فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين عنها ،..... فشكا شده الوجد وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلو ويصرف اليه الوجوه ، لان التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء ، فاذا علم انه قد استوثق من

الإصغاء اليه والاستماع له، عقب بايجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانضاء الراحلة والبعير،..."""".

ان هذه المقدمات الطللية والغزلية تمثل جزءا من حياة الجاهلي ، وهو حين يقف عندها يستحضر ذكرياته ويعود لأيامه وصباه ، فتثير في نفسه الوان من الاسى والشجو والحنين ، فيندفع في مناجاة هذه الديار ومخاطبتها ووصف آثارها وتصور ما كان فيها. اما المطالع الغزلية ففيها احساس دقيق بالجمال وتذوق ،لمحاسن المراة والقارئ لمشاهد الارتحال والفراق يشعر برهبة وحنين لهذا الفراق، وحين تذكر المرأة وتوصف محاسنها نجد في هذا الشعر اقبالا على الحياة وامتزاجا بها ، ونقرأ في معلقة الاعشى على ما في الاعشى من وقار وتعقل ، فأننا نلمح في مقدمته الغزلية جمالا وبهجة وحياة وحركة وصدق :

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ وَهَل تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَجُلُ
غَرّاءُ فَرعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها تَمشي الهُوَينا كَما يَمشي الوَجي الوَحِلُ
كَأَنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ
لَيسَت كَمَن يَكرَهُ الجيرانُ طَلعَتَها وَلا تَراها لِسِرِّ الجارِ تَختَتِلُ

٢- التخلص : الشاعر المجيد هو الذي يحسن الانتقال ، فيغادر موضوعه الأول الى الذي يليه دون خلل او انقطاع، ويجعل معانيه تنساب إلى الموضوع الاخر انسياباً بحيث لا يشعر قارنه بالنقلة ، بل يجد نفسه في موضوع جديد هو استمرارللاول وامتداد له ، وبين الموضوعين تمازج والتئام وانسجام ويمدحون لزهير بعض انتقالاته الى المديح في مثل قوله :

ان البخيلَ ملومٌ حيث كان ول كن الجوادَ على عِلَّاتِهِ هَرِمُ .

وقد يتخذ الانتقال شكل التساؤل ، وبخاصة في سياق رحيل الأحبة ، كقول عنترة :

هل تبلغنى دارها شدنية لُعِنتْ بمَحْرُوم الشَّرابِ مُصرَّم

هناك إساليب كثيرة في التخلص والانتقال ، وقد يستخدم الشاعر لذلك : الاستفهام او الاشارة او بعض الحروف كالفاء والواو ورب وبل ، ومن جميل الانتقال بالشارة قول لبيد :

تلك ابنةُ السَّعْدِيِّ أضحَتْ تشتَكي لِتَخُونَ عَهْدِي ، والمَخَانَةُ ذَامُ

وقد يتخذ الجاهليون الانتقال المفاجيء بالقطع ، وذلك بان يقول : (دع ذا) او (عد عن ذا) ، وهذه أساليب ليست مما تمدح في انتقالاتهم ، كقول الاعشى بعد أن كان يتحدث عن صاحبته انتقل الى الناقة فجاة :

فدْعها وسَلِّ الهمَّ عنكَ بجسرةٍ تَزيَّد في فضلِ الزمام وتَعْتَلي.

٣-**الخاتمة** . وقد لاحظ النقاد أن لخاتمة القصيدة اثرة في النفس ووقعاً مهماً ، لانها آخر معنى يبقى في الأذهان، وفي الشعر الجاهلي نهايات جميلة أعجبت النقاد قديما ، من ذلك قول :تأبط شرا :

لَتَقرَعَنَّ عَلَيَّ السِنَّ مِن نَدَمٍ إذا تَذَكَّرتَ يَوماً بَعضَ أَخلاقِ

وكذلك يعجبهم انتاء الشنفري في قوله:

وَإِنّي لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حَلاوَتي وَمُرٌ إذا نَفْسُ العَزوفِ اسْتَمَرَّتِ

أبِيٌّ لِما آبى سَرِيعٌ مَباءَتي إلى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحي في مَسَرَّتي.

فقد جمع خلاصة فخره في هذين البيتين بلفظ حسن ومنى واضح

وكثيراً اما يختتم الجاهليون قصائدهم بالحكمة، وهي خلاصة تجاربهم ونظرتهم الى الحياة ، ومن جميل ذلك قول امرئ القيس :

ألا إن بعد العُدم للمرء قنوةً وَبعدَ المَشيبِ طولَ عُمرٍ ومَلْبَسَا

على أن هناك نهايات تشعر أن المعنى ما زال مستمرة حيث ينهي الشاعر قصيدته فجاة وعلى غير ختام ، ويبقى المعنى بحاجة كقول امرئ القيس في معلقت فقد انهاها بقوله :

كَأَنَّ سِباعاً فيهِ غَرقى غُدَيَّةً بِأَرجائِهِ القُصوى أَنابيشُ عَنصُلِ

والقارئ هنا يشعر أن للكلام بقية وللوصف تتمة ، فالسياق يقتضي ملء الصورة التي رسمها.

﴿بنية القصيدة الجاهلية﴾

1-المقطوعات الشعرية (رثاء + هجاء)

(وحدة الموضوع)

2-قصائد طوال (المعلقات)

(متعددة المواضيع)

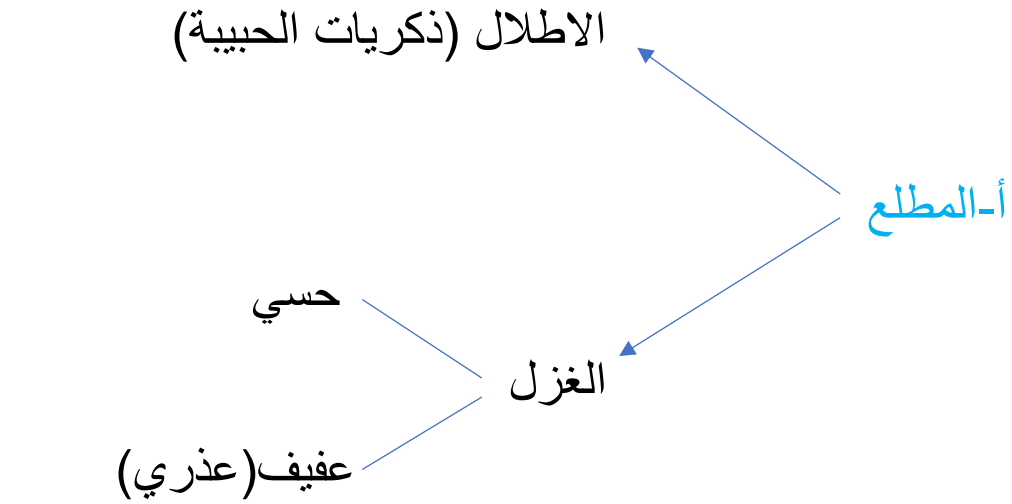

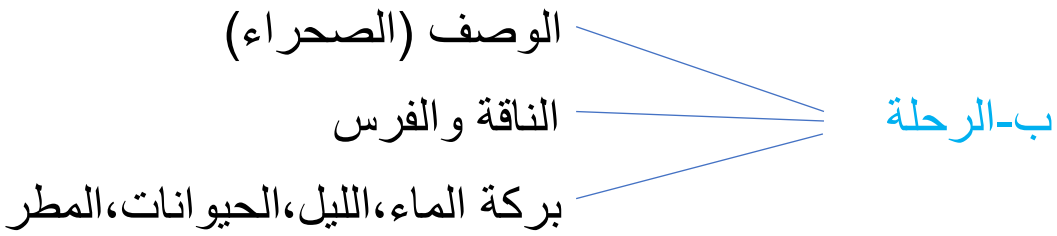

ج- الغرض الرئيسي

د-الخاتمة (ابيات الحكمة)

ومن الشعراء الذين خرجوا عن بنية القصيدة الجاهلية هو عمرو بن كلثوم

الطالب /علي حسين علي

ابیات
حفظ
المعلقات

معلقة امرى القيس

لوحة الطلل

1-قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
2-فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
3-تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَا كَأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
4-كَأنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
5-وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَّي مَطِيَّهُمُ يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّلِ
6-وإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

لوحة الغزل الحسي

7-كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا جَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
8-إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ
9-فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي
10-ألاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ
11-ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كُوْرِهَا المُتَحَمَّلِ

لوحة الغزل العذري

19-أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي
20-أغَرَّكِ مِنِّي أنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وأنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ
21-وإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ
22-وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

لوحة وصف الليل

44-ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَـهُ عَلَيَّ بِأَنْـوَاعِ الهُـمُوْمِ لِيَبْتَلِـي

45- فَقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ

46-أَلا أَيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلي بصُبْحٍ، وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

وصف الفرس

52-وَقَـدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَـا بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأَوَابِدِ هَيْكَـلِ

53-مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِـرٍ مَعـاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

54-كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْـدُ عَنْ حَالِ مَتْنِـهِ كَمَا زَلَّـتِ الصَّفْـوَاءُ بِالمُتَنَـزَّلِ

معلقة طرفة

لوحة الطلل

1-خَـوْلَةَ أطْـلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَـدِ تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

2-وُقُـوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُـمْ يَقُـوْلُوْنَ لا تَـهْلِكْ أسىً وتَجَلَّـدِ

لوحة وصف الظعن

3-كَـأنَّ حُـدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُـدْوَةً خَلاَيَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِـفِ مِنْ دَدِ

4-عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيْنِ ابْنَ يَامِـنٍ يَجُوْرُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَـدِي

5-يَشُـقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَـا كَمَـا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَـدِ

لوحة الغزل

6-وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظَـاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَـدِ

7-خَـذُولٌ تُرَاعِـي رَبْرَباً بِخَمِيْلَـةٍ تَنَـاوَلُ أطْرَافَ البَرِيْرِ وتَرْتَـدِي

8-وتَبْسِـمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَـوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ لَهُ نَـدِ

9-سَقَتْـهُ إيَاةُ الشَّمْـسِ إلاّ لِثَاتِـهِ أُسِـفَّ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِـدِ

10-ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقتْ رِدَاءهَا عَلَيْـهِ نَقِيِّ اللَّـوْنِ لَمْ يَتَخَـدَّدِ

لوحة وصف الناقة

11-وإنّـي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَلُوحُ وتَغْتَـدِي

12-أَمُـوْنٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَـا عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُـدِ

معلقة زهير بن أبي سُلمى

لوحة الطلل

1-أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تَكَلَّـمِ بِحَـوْمَانَةِ الـدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـمِ

2-ودَارٌ لَهَـا بِالرَّقْمَتَيْـنِ كَأَنَّهَـا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَـمِ

3-بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَـةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

4-وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَـلأيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـمِ

5-أَثَـافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَـلِ وَنُـؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّـمِ

6-فَلَـمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَـا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَـمِ

لوحة المدح

16-فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ رِجَـالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـمِ

17-يَمِينـاً لَنِعْمَ السَّـيِّدَانِ وُجِدْتُمَـا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْـرَمِ

18-تَدَارَكْتُـمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَـا تَفَـانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَـمِ

19-قَدْ قُلْتُمَا: إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعـاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَـمِ

لوحة وصف الحرب

٢٨-وَمَا الحَـرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُـمُ وَمَا هُـوَ عَنْهَا بِالحَـدِيثِ المُرَجَّـمِ

٢٩-مَتَـى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَـةً وَتَضْـرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُـوهَا فَتَضْـرَمِ

٣٠-فَتَعْـرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَـا وَتَلْقَـحْ كِشَـافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِـمِ

معلقة عمرو بن كلثوم

ابيات وصف الخمرة

١-أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَـا وَلاَ تُبْقِي خُمُـورَ الأَنْدَرِينَـا
٢-مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَـا إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَـا
٣-تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عَنْ هَـوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَـا حَتَّـى يَلِينَـا
٤-تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحِ إِذَا أُمِرَّتْ عَلَيْـهِ لِمَـالِهِ فِيهَـا مُهِينَـا

لوحة الفخر

٢٣-أَبَا هِنْـدٍ فَلاَ تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا وَأَنْظِـرْنَا نُخَبِّـرْكَ اليَقِيْنَـا
٢٤-بِأَنَّا نُـوْرِدُ الـرَّايَاتِ بِيْضـاً وَنُصْـدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَـا
٢٥-وَأَيَّـامٍ لَنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ عَصَيْنَـا المَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِيْنَـا
٢٦-وَسَيِّـدِ مَعْشَـرٍ قَدْ تَوَّجُـوْهُ بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِيْنَـا
٢٧-تَرَكْـنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْـهِ مُقَلَّـدَةً أَعِنَّتَهَـا صُفُـوْنَـا
٢٨-وَأَنْزَلْنَا البُيُوْتَ بِذِي طُلُـوْحٍ إِلَـى الشَامَاتِ نَنْفِي المُوْعِدِيْنَـا

عنترة بن شداد

لوحة الطلل

1-هَلْ غَادَرَ الشّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

2-يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِ

3-فَوَقَفْتُ فِيها نَاقَتي وكَأَنَّها فَدَنٌ لأَقْضِيَ حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ

4-وَتَحُلّ عَبْلَةُ بالْجِوَاءِ وَأَهْلُنَا بالْحَزْنِ فَالصَّمَانِ فَالْمُتَثَلَّمِ

5-حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمّ الْهَيْثَمِ

6-حَلّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فأصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيّ طِلابُكَ ابنَةَ مَخْرَمِ

لوحة الغزل العفيف

13-إِذْ تَسْتَبِيكَ بذي غُرُوبٍ وَاضِحٍ عَذْبٍ مُقَبّلُهُ لَذِيذِ الْمَطْعَمِ

14-وَكَأَنّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضَهَا إِلَيكَ من الفَمِ

15-أَوْ رَوْضَةً أُنُفًا تَضَمّن نَبْتَهَا غَيْثٌ قَليلُ الدِّمْنِ ليسَ بِمَعْلَمِ

لوحة الفخر بالنفس

43-هَلّا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

44-إِذْ لَا أَزَالُ على رِحَالَةِ سَابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الكُمَاةُ مُكَلَّمِ

45-طَوْرًا يُجَرَّدُ للطّعانِ وتَارَةً يَأْوِي إِلَى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ

46-يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوغى وَأَعِفّ عِندَ الْمَغْنَمِ

محاضرات في

تاريخ الادب العربي قبل الاسلام

نظــرية الانتحـــال

أصل النظرية عربية ، حيث ذكر ابن سلاَم (ت ٢٣١هـ)في كتابه طبقات فحول الشعراء ، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي فأرجعها إلى سببين :

الأول : عامل القبائل التي كانت تزيد من شعرها لتزيد من مناقبها ، يقول لما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ، ومآثرها استقلت بعض العشائر شعر شعرائهم ، من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له من الوقائع والإشعارات فقالوا على السنة شعرائهم ثم كانت الرواة فزادوا في الأشعار .

ويذكر الدكتور شوقي ضيف أن القبائل أخذت تزيد في شعرها وتنسبها إلى شعراء لم يقولوه . وقد أضافت قريش شعراً كثيرا إلى شعرائها . لان حظها من الشعر قليل ، فقد أضافت شعراً إلى حسان بن ثابت . وقد أشار ابن سلام إلى ذلك مرات عديدة ، وقد روي إن أبناء الشعراء وأحفادهم من كان ينحل الشعر ، فهذا ابن داود بن متمم بن نويرة لما سأله أبو عبيدة عن شعر أبيه بدأ يقرأه فما نفذ شعر أبيه ، بدأ يقرأ شعرا مغايراً لما قاله ، وبهذه الطريقة حاولت قريش أن تزيد من شعرها لترفع من مآثرها .

العامل الثاني : عامل الرواة الذين انتحلوا الشعر ونسبوه إلى شعراء آخرين . والأسباب التي دعت هؤلاء الرواة إلى انتحال الشعر وهي أسباب دينية ، وسياسية ، وحزبية .

والرواة عند ابن سلام طبقتان :

الأولى : طبقة مثقفة مثل حماد الراوية ، وخلف الأحمر ، وجُناد ، هذه الطبقة استطاعت أن تتطلع على قدر كبير من أشعار العرب وأيامهم وأمجادهم ، ومآثرهم بحيث تمكنت بثقافتها الواسعة بالشعر أن تصنع شعراً ، أو تنتحله ، وتنسبه إلى شعراء آخرين .

الطبقة الثانية : طبقة غير مثقفة ، وهما ابن إسحاق وعبيد بن شرية . وهذه الطبقة لا شان لها بالشعر ، لا تستطيع نظمه ولا صياغته ، غير أنها تروي كل غثٍ وسمين ، وتنسبه إلى أقوام غريقة في القدم ، والى شعراء آخرين ، حتى أن ابن سلام يقول عن ابن إسحاق :((وكان ممن افسد الشعر وهجنه)) .

أما عبيد بن شرية فمثله مثل سلفه في نحل الشعر ، ورفض ابن سلام والأصمعي ، واضرابهما رواية الطائفتين جميعاً ، فلم يقبلوا شيئاً مما يرويه أشباه حماد . ويلاحظ أن أكثرهم من أصول غير عربية ، وكلهم فاسق ماجن رقيق الدين فاسد الضمير .

والى جانب الطائفتين طائفة الرواة الثقات لا شك في ثقتهم وأمانتهم ، من مثل المفضل بن محمد الضبي ، والأصمعي ، وشيخ الرواة أبي عمرو بن العلاء من أئمة اللغة والأدب ، واحد القراء السبعة ، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات في الكوفة سنة (١٥٤هـ) هؤلاء الثقات الرواة عرفوا غث الشعر العربي وسمينه ، ووضعوا أيديهم على صحيحه ومنحوله . ، وقد نبه ابن سلام على الرواة الكذابين ، كحماد الراوية ، ورفض مروياته وبيان فساد مروياته وحذر منه ، وذكر صنفاً آخر من الرواة ، كانوا يحملون الشعر الزائف وهم رواة السيرة والأخبار ، وأشار إلى ابن إسحاق ، وتناوله بالنقد والتجريح ، ولم يرض ابن سلام عذره بأنه لا علم له بالشعر أوتي به فحمله .

وقد أثيرت قضية الانتحال في العصر الحديث ، وتناولها المستشرقون والعرب ، ومن هؤلاء المعتدل المنصف ، ومنهم المشتط المسرف المتحامل ، وقامت مناقشات وكتبت ردود . واهم من كتب في الموضوع سنتناوله بإيجاز شديد :

لقد أشار بلاشير إلى قضية الانتحال ، وتطرق إلى آراء المستشرقين في هذه القضية ، وذكر انه أول من نشر بحثاً يخص الموضوع (نولدكه) ، سنة ١٩٦٤ ، وبين فيه ما يعتو الشعر الجاهلي من الشكوك ، وبعد ثماني سنوات تناول القضية (اهلوارد) الذي نشر دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، ديوان امروء القيس ، و عنترة ، والنابغة ، وزهير ، وطرفة ، وعلقمه . وقد طعن في الشعر الجاهلي بصورة عامة وتوصل إلى المبدأ الآتي :

" إن القصائد المروية غير موثوق بصحتها ، سواء من ناحية المؤلف ، أم الظروف ، أم النظم ، أم ترتيب الأبيات ، ثم توصل إلى انه يجدر بنا أن ننخل دواوين الشعراء الستة ، ونمعن النظر فيها ، ونلقي الضوء عليها ، لنتوصل إلى أن عدداً من القصائد صحيحة ، ولكن الشك يخيم على ترتيب الابيات ، ونوعية كل بيت " .

ولعل المستشرق (مرجليوث) أكثر من أثار عاصفة هوجاء عن قضية الانتحال في الشعر الجاهلي ، حيث نشر بحثا مفصلا في مجلة الجمعية الملكية سنة ١٩٢٥ ، عنوانه " أصول الشعر العربي" .

ولقد أشار الدكتور نصر الدين الاسد والدكتور شوقي ضيف الى نظرية الانتحال ، ووضحا معا الأدلة التي جاء بها مرجليوث ويمكن أن ندرج الأدلة فيما يأتي :

الادله الخارجية :

١ـ لقد اعترف مرجليوث بوجود الشعر الجاهلي ، حيث إن القرآن الكريم جاء بسورة تسمى "سورة الشعراء" وان هناك نخبة من الكهان كانوا يسمون بالشعراء ، غير انه يشكك بهذا الشعر .

٢ـ يشير هذا المستشرق إلى بداية الشعر العربي ، ونشأته فيذكر أن هذه النشأة في غاية الغموض حيث أن بعض المصادر عزت شعرا لآدم ، وقصائد غنائية إلى عهد إسماعيل ، غير أن الرأي السائد بخصوص الشعر الجاهلي انه عرف قبل الإسلام بقرون قليلة ، ومن يذهبون هذا المذهب يقرون مهلهلا وامرأ القيس وقد أوردا شعرا لشعراء سبقوهما بزمن طويل ، وإنهم قالوا شعرا حتى أصبح لهم أتباع ومقلدون ، وان هؤلاء الأتباع والمقلدين ، هم أصحاب المعلقات العشر ، وغير أصحاب المعلقات .

٣ـ ثم أن هذا المستشرق يفترض وجود الشعر الجاهلي ، ثم يستدرك فيذكر انه كيف حفظ هذا الشعر ؟ ومما لا شك فيه انه حفظ عن طريق الرواية ، والكتابة ، ثم يشكك في الرواية وينفي الكتابة .
٤ـ يطعن هذا المستشرق في الرواة كحماد الراوية ، وخلف الأحمر ، وجناد ، حيث أنهم وضعوا شعرا كثيرا ونسبوه إلى شعراء جاهليين ، لأسباب شعوبية ، وسياسية ، ودينية .

ويذكر الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور شوقي ضيف أن هذا المستشرق يحاول أن يعضد آراءه الخارجية بآراء داخلية نستطيع أن ندرجها بما يأتي :
١ـ يذكر أن الشعر الجاهلي لا يمثل الجاهليين بحق ، فهو لا يمثل وثنيتهم ، كما انه لا يمثل الديانات القديمة كاليهودية والمسيحية ، فه لا يتطرق إلى التثليث عند المسيحيين ، وإنما هو يمثل القصص القرآني ، وما جاء به الإسلام من تعاليم بعدئذٍ ، وهو يريد أن يفصح بأن هذا الشعر يمثل المسلمين كما نص عليه القران الكريم ، فهو يمثل فترة لاحقة ، لا سابقة .
٢ـ ثم ينتقل هذا المستشرق إلى اللغة ، فيذكر أن لغة الشعر هي لغة القران ، وان هذا الشعر لايمثل لهجات القبائل المتعددة وانه لا يمثل الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية القحطانية في جنوب الجزيرة ، بل لا يمثل اللهجات الشاذة التي كانت منتشرة عند قبائل العرب كافة .
٣ـ ومن الأدلة التي أثارها هذا المستشرق موضوعات القصائد الجاهلية فيذكر أنها تمثل موضوعات معينة تتكرر في جميع القصائد ، الأمر الذي يحمل هذا المستشرق على الاعتقاد أنها نظمت بعد نزول القرآن لا قبله ، يريد أن يوضح أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة الجاهليين ، وإنما يمثل حياة العرب بعد الإسلام .
٤ـ ولعل آخر الأدلة التي ذكرها ، إن النقوش المكتشفة في الممالك الجاهلية في اليمن ، هي ممالك متحضرة ، لها نصيبها من الثقافة ، لا تدل على وجود شعر فيها ، فكيف يصح لبدو غير متحضرين ان ينظموا شعراً مثل هذا الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا .

مناقشة آراء مرجليوث

لقد أشار هذا المستشرق نفسه إلى أن القرآن الكريم قد ذكر وجود الشعر الجاهلي وافرد سورة خاصة به هي سورة الشعراء غير ان وجود هذا الشعر امر مشكوك فيه لأنه جاء على لسان الرواة شعر لأدم (ع) ولأقوام غريقة في القدم ومثل هذا الشعر ينفي ابن سلام الجمحي نفسه ومن حذا حذوه كالاصمعي وصحبه ـ أعني المفضل الضبي وعمرو بن العلاء هؤلاء الثقات من الرواة يقفون من الشعر الجاهلي موقف التحفظ والمحترس ولا يأخذون به جملة ، وإنما وضعوا أيديهم على ما هو صحيح وما هو منحول .

أما أن هذا الشعر كيف حفظ :
فحفظ عن طريق الرواية ، والرواية مؤكدة ومعتمدة زد إلى ذلك سندها المتصل ، لان العرب يعدون الشعر ديوانهم فهو يمثل حياتهم تمثيلا حقيقيا ، لذلك عنوا بالرواية أيما عناية .
أما تشكيكه في بعض الرواة أمثال حماد وخلف وجناد فأمر مسلَم به من مؤرخي العرب أنفسهم ، فإذا عضدت رواية حماد أو خلف أو جناد لقصيدة من القصائد من احد الرواة

الثقاة الذين أشرت إليهم فهي صحيحة ، وإذا كانت غير ذلك فتضرب القصيدة عرض الجدار .

وقد ناقش الدكتور شوقي ضيف آراء هذا المستشرق مناقشة علمية جديرة بالإشارة :
فقد علق على قوله بأن الشعر لا يمثل حياة الجاهليين من وثنيين ، ونصارى ، ويهود ، وديانات أخرى ، فأشار إلى كتاب الأصنام الذي يطرح نماذج كثيرة من الشعر الجاهلي تصف حياة الجاهليين على اختلاف معتقداتهم ، ونحلهم ، وهذا ما ينفي الزعم نفياً قاطعاً .
أما موضوع لغة هذا الشعر فهي لغة القرآن قبل نزوله ، أو قل لغة قريش ، لان لغة قريش في العصر الجاهلي هي التي سادت على جميع لهجات العربية لأسباب دينية ، واقتصادية ، وسياسية ، لذلك راح الشعراء ينظمون شعرهم بهذه اللغة ، أما أن الشعر الجاهلي لا يمثل لغة الجنوب لغة حمير فهذا صحيح ، لان هذه اللغة أكل الدهر عليها وشرب ، وأصبحت لغة قديمة لا نعرف عنها شيئا حتى أن أبا عمرو بن العلاء قال :" ما لسان حمير ، وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا " .
ولعل الدليل الأخير الذي أشار إليه الدكتور شوقي ضيف من أدلة هذا المستشرق ، هو موضوع المكتشفات الجديدة في اليمن التي لا تفصح عن وجود شعر ، علماً إن اليمن أو قل الدول العربية التي كانت باليمن قديما وهي متسمة بشكل أو بآخر بالحضارة والثقافة ، فإذا كانت هذه الدول أو قل أصحابها لا ينظمون الشعر ، فكيف يصح لبدو لم يكن لهم نصيب من الحضارة أن ينظموا الشعر ؟ فرده " برونلن" حيث ذكر أن نظم الشعر لا يرتبط بالعوامل الثقافية أو الحضارية فهناك قوم مثل الاسكيمو لهم شعر كثير ، ولم يكن لهم نصيب من الثقافة أو الحضارة .

الانتحال في الشعر الجاهلي عند العرب المحدثين

لقد أشار الدكتور شوقي ضيف ، والدكتور ناصر الدين الأسد إلى قضية الانتحال عند العرب المحدثين ، ولعل أول من كتب عن هذه القضية هو مصطفى صادق الرافعي في كتابه " تاريخ آداب العرب " ويستطيع المتتبع أن يوجز اراءه كما جاءت في كتابه فيما يأتي :
١ـ القبائل : لقد صنعت القبائل الأشعار ونسبتها إلى غير أهلها ، وخاصة القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها ، وكانت أول القبائل التي وضعت الشعر في الإسلام هي قبيلة قريش ، فقد وضعت على حسان أشعاراً كثيرة .
٢ـ شعر الشواهد : وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو ، والكوفيون أكثر الناس وضعا للأشعار .
٣ـ الشواهد : هناك ضرب من الشواهد وهو ما ولده بعض المعتزلة والمتكلمين للاستشهاد به على مذاهبهم .
٤ـ الشواهد على الأخبار : فلما كثر القصاصون وأهل الأخبار اضطروا من اجل ذلك أن يصنعوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير حتى يلائموا بين رقعتي الكلام ، فوضعوا من الشعر على ادم من دونه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم .
٥ـ الاتساع في الرواية : وهو سبب من أسباب الوضع ، يقصد به فحول الرواة أن يتسعوا في رواياتهم ، فيستأثروا بما لايحسن غيرهم ، لذا يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم ، ورأس هذا الأمر حماد الراوية ، الذي قال عنه المفضل الضبي " سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده ، فلا يصلح أبدا " .

الدكتور طه حسين :

إن ما توصل إليه الدكتور طه حسين وذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين وأكاد اشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ، ولا يدل على شيء ، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي .

أما الأسباب التي ذهب إليها الدكتور طه حسين في انتحال هذا الشعر نستطيع ان ندرجها باقتضاب :

اولا : السياسة ونحل الشعر : ولا يريد الدكتور طه حسين بالسياسة المفهوم الحالي للسياسة ، وإنما يقصد بالسياسة العصبية القبلية ، وهو لا يتحدث عنها حديثا شاملاً وإنما يكتفي بمثالين :

العصبية بين المهاجرين والأنصار ، أو بعبارة أوضح قريش والأنصار ، ويذكر لتاييد رأيه روايتين

الاولى : ما يروى من أن عمر بن الخطاب نهى عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبي محمد "ص" ،

والثانية : ما ذكر من أن ابن سلام قال : وقد نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية فاستكثرت منه في الإسلام . وعقب عليه الدكتور طه بقوله : وليس من شك عندي في أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجي به الأنصار .

والمثال الثاني : فهي هذه الأشعار التي تمس تنقل امريء القيس في قبائل العرب فإنها نحلت حيث تنافست القبائل العربية في الإسلام وحين أرادت كل قبيلة أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن .

ثانيا : الدين : لم يكن النحل وقفا على شعر الجاهليين من عر ب الإنس ، وإنما أضيفت إلى الجاهليين من عرب الجن، فقد روى الرواة شعرا قالته الجن مفتخرة بمقتل سعد بن عبادة :

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم تخطء فؤاده .

ونوع آخر من تأثير الدين في نحل الشعر وهو الذي يلجا إليه القصاص لتفسير ما يجدونه مكتوبا في القران من أخبار الأمم البائدة كعادٍ وثمود ، أضافوا إليه شعرا بل أضافوا شعرا إلى ادم فهم يزعمون انه رثى هابيل حين قتله أخوه قابيل .

ثالثا : القصص ونحل الشعر : كان القصاصون عاملا مهما في نحل الشعر ، ويمكن المتتبع أن ينظر في ألف ليلة وليلة ، وفي قصة عنترة وما يشبهها فسترى أن القصص لا تستطيع أن تستغني عن الشعر ، وقد نسج الرواة من الشعر الغث والسمين ، وفي سيرة ابن هشام وحدها دواوين من الشعر ، نظم بعضها حول غزوة احد ، وبدر ، وبعضها في غير هاتين الغزوتين .

رابعا : الشعوبية ونحل الشعر : يقول الدكتور طه حسين أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعوبية قد نحلوا أخباراً وإشعاراً كثيرة وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار ، بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظريهم إلى النحل والإسراف فيه . وأنت تعلم أن أصل هذه الفرقة إنما هو هذا الحقد الذي أضمره الفرس للعر ب .

خامسا : الرواة ونحل الشعر : وقد مر الحديث عنهم في موضوع سابق .

دوافع الشك عند الدكتور طه حسين

١ـ انه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين :
فالحياة الدينية لا نجدها في الشعر الجاهلي .
أما الحياة العقلية والحضارية فهي غير واضحة في الشعر الجاهلي ، إذ ظهروا في جمهورهم كجماعة من البدو لم يتحولوا إلى طور فكري منظم .
أما الحياة السياسية أيضا لم تتضح في أشعارهم ، مع أنهم كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم
وعن الحياة الاقتصادية : يقول إن القران الكريم يصور حياة العرب مقسومة الى فريقين : فريق الأغنياء المستأثرين بالثروة المسرفين في الربا ، وفريق الفقراء المعدمين الذين ليس لهم مال . لا نظفر بشيء ذي غناء في شعرهم يمثل هذه الحياة الاقتصادية .
وفي الحياة الاجتماعية : ينتهي الدكتور طه حسين إلى أن هذا الشعر لا يعني الابحياة الصحراء والبادية ، ولا نكاد نجد ذكر البحر أو الإشارة إليه ، فإذا ذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا اقل ، أما القران الكريم فيمن على العرب بان الله سخر لهم وبان في هذا البحر منافع كثيرة .
٢ـ الشعر الجاهلي بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الجاهلي . إذ انه لا يصور اللغتين الشائعتين في الجزيرة لغة الحميريين الجنوبيين ولغة العدنانيين الشماليين . وقد استند إلى ما قاله أبو عمرو بن العلاء " ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا ". اذ ان هناك اختلافا جوهريا بين اللغة الجنوبية واللغة الشمالية ، والشعر الجاهلي لا يصور هذا الاختلاف ، ونستطيع ان نقرا هذه القصائد دون ان نشعر فيها بشيء في اختلافا أو تباعدا في اللغة .

م/ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

التعريف بالصعلكة

في اللغة :

في لسـان العرب : "الصُـعلوك " الفقير الذي لا مال له , زاد الازهري ولا اعتماد . وقد تصـعلك الرجلُ اذا كان كذلك . قال حاتم الطائي :

غَنينا زماناً بالتصعلك والغَنى فكلاً سقاناه بكأْسيهما الدهرُ .

أي عشنا زمانا .

وتصعلكت الإبل : خرجت اوبارها , وانجردت , وطرحتها .

ورجل مصعلك الرأس : مدوره .

ورجل مصعلك الرأس : صغيره .

وصـــعاليك العرب : ذؤبانها. والربط بينهم وبين الذؤبان ان هؤلاء الفقراء كان بينهم وبين الذئاب تشـابه في اسـلوب الحياة او اسـلوب العيش او طبيعة الشـخصـية . وكان عروة بن الورد يسـمى عروة الصعاليك , لانه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنم .

لا بد لنا من الوقوف عند الزيادة التي اضـــافها الازهري الى هذا المعنى اللغوي , وهي قوله " ولا اعتماد " لنعرف الى أي مدى تحدد هذا المعنى ؟ والمعنى اللغوي لهذه العبارة واضح , فاعتمد على الشيء : توكأ او اتكأ علي , واعتمد عليه في كذا : اتكل عليه .

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن الصعلوك في اللغة هو : الفقير الذي لا مال له يستعين به على اعباء الحياة , ولا اعتماد له على شـــيء او احد يتكيء عليه او يتكل عليه ليشـــق طريقه فيها , ويعينه عليها حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة .

في الاستعمال الادبي : مفهومها الادبي لا يتفق تماما مع مفهومها اللغوي . فهذا عمرو بن بَرَاقة الهمداني يغير على ابله وخيله رجل من مراد , فيذهب بها , فياتي عمرو فيغير على المرادي فيستاق كل شيء له , ويقول :

تقول سليمى : لا تَعَرَض لتلْفة وليلك عن ليل الصعاليـك نائـم

وكيف ينامُ الليل منْ جُلُ ماله حسامٌ كلون الملح ابيضُ صـارمُ

الم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليـلٌ اذا نـــام الخلـــيُ المسالـــمُ .

إن جو القصـــة وسـياق الأبيات لا يدلان على أن الصـــعاليك هنا هم الفقراء . من الواضـــح أن الصـــــعاليك هنا هم ليس اولئك الفقراء المعدمين الذين يقنعون بفقرهم , او يســـتجدون الناس ما يســدون به رمقهم , وإنما هم أولئك المشـــاغبون المغيرون أبناء الليل الذين يســهرون لياليهم في النهب والسلب والإغارة , بينما ينعم الخليون المترفون المسـالمون بالنوم والراحة والهدوء , فالكلمة

إذن خرجت عن الدائرة اللغوية دائرة الفقر,إلى دائرة أخرى أوســـع منها هي دائرة الغزو والإغارة والنهب والسلب

الناظر في أخبار هؤلاء الصعاليك , المتتبع لظروف نشأتهم وحياتهم , يستطيع ان يلاحظ ثلاث طوائف مختلفة تتألف منها عصاباتهم وهي :

طائفة " الخُلعاء الشُـــذاذ " , الذين انكرتهم قبائلهم , وتبرأت منهم , وطردتهم من حماها , وقطعت ما بينهم وبينها من صـــلة , وتحللت من هذا العقد الاجتماعي الذي يربط بيينها وبينهم . مثل حاجز الازدي .

طائفة " الاغربة " السود الذين سرى إليهم السواد من امهاتهم الإماء , فلم يعترف بهم اباؤهم العرب , ولم ينســبوهم اليهم , لان دماءهم ليســت عربية خالصـــة وانما خالطتها دماء اجنبية لا تصل من درجة نقائها إلى درجة الدم العربي مثل " تأبط شراً " و" الشنفرى " و"السُليك بن السُلكة " .

طائفة " الفقراء المتمردين " الذين تصــعلكوا نتيجة لتلك الظروف الاقتصــادية المختلفة التي كانت تســـود المجتمع الجاهلي , ويمثلهم عروة بن الورد ومن كان يلتف حوله من فقراء العرب , وكذلك تلك المجموعة الكبيرة من صعاليك هذيل .

ومن هذه الطوائف الثلاث تألفت عصابات الصعاليك وهي عصابات قطعت ما بينها وبين قبائلها من صـلات وانطلقت إلى الصـحراء . كما تنطلق الذئاب الجائعة . وقد جمع بينهم على اختلاف قبائلهم الفقر , والتشـرد , والتمرد . والظاهرة الواضـحة في حياة هؤلاء الصـعاليك هي انهم جميعا فقدوا توافقهم الاجتماعي . وظاهرة التوافق الاجتماعي هي الظاهرة التي يقرر علماء الاجتماع على أنها الأسـاس الذي تقوم عليه الصـلة بين الفرد والمجتمع . بحيث يكون عمل الفرد من اجل صـالح المجتمع , كما يكون عمل المجموع لصـالح الفرد . وفقدان هذا التوافق الاجتماعي ينتهي بالفرد عادة الى ان تكون صلته بمجتمعه قائمة على أساس السلوك الصراعي .

الظواهر الفنية في شعر الصعاليك

1. شعر مقطوعات :حين ننظر في شعر الصعاليك الذي بين ايدينا , من الزاوية التي تظهر على بنائه الخارجي , فأول ما يلفت نظرنا فيه انه شـــعر مقطوعات , ولســـنا نعني بهذا انعدام القصـيدة فيه , وإنما نعني ذيوع المقطوعة أكثر من ذيوع القصـيدة . وإذا اسـتثنينا تائية الشـنفرى المفضـلة ذات الأبيات الأربعة والثلاثين أو الخمسـة والثلاثين في بعض المصـادر , ورائية عروة بن الورد , وفائية صـــخر الهذلي , وقافية تأبط شـــراً , وبائية الأعلم , وميمية ابن خرَاش . نجد

أنفســـنا أمام مجموعة من كبيرة من المقطوعات التي يترواح عدد أبيات الواحدة منها بين البيتين والسـبعة , وأمام مجموعة أخرى من القصـائد القصـيرة التي توشـك ان تكون مقطوعات لاتتجاوز اطولها وهي فائية الشنفرى , عشرين بيتاً او تسعة عشر بيتاً في بعض المصادر , هذا الى جانب مجموعة كبيرة من الأبيات المفردة التي يرجح أنها أبيات من قصـائد أو مقطوعات لم تصـل الينا .

ويعود السـبب إلى أمرين : إما أن نفترض أن مجموعة شـعر الصـعاليك ناقصـة لا من حيث عدد قصـائدها ومقطوعاتها فحسـب , ولكن من حيث عدد أبياتها ايضـاً , وهو يتفق مع ما ذهب اليه مؤرخوا الادب العربي من ضياع اكثر الشعر الجاهلي .

والآخر : طبيعة حياتهم نفسها , تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش التي لا تكاد تفرغ للفن من حيث هو فن يُفرِغ صـــاحبه نفســـه لتطويله وتجويده , وإعادة النظر فيه , كما كان يفعل الشـــعراء القبليون تلك الطبقة الارســـتقراطية التي فرغت للفن فراغاً هيأته لها قبائلها لا من اجل الفن ولكن من اجل نفسـها . فلم يكن الشـاعر الصـعلوك يُفَرَغ لفنه كما يُفَرَغ زهير لحولياته , وامرؤ القيس في حياته اللاهية الفارغة المطمئنة التي ضـــمن له رغدها ملك ابيه , او النابغة في حياته المسـتقرة في بلاط المناذرة والغسـاسـنة , فالأمر الذي لا شـك فيه هو أن حياة الصـعاليك كانت حياة قلقة مضـطربة , وانهم جميعاً كانوا يشـعرون شـعوراً عميقاً بأنها حياة قصـيرة , وبأنهم دائماً على موعد مع الموت الذي يترصـدهم , حتى كثُر ذكر الموت عندهم . وتردد الحديث عنه في شعرهم .

2ـــ الوحدة الموضـوعية : الناظر في شـعر الصـعاليك تلفت نظره تلك الوحدة الموضـوعية في مقطوعاته وأكثر قصـائده , بحيث يسـتطيع ان يصـنع لكل مقطوعة عنواناً خاصـاً بها , دالاً على موضـوعها وهي ظاهرة لم تعرفها قصـائد الشـعر الجاهلي القبلي في مجموعه , تلك القصـائد التي تبدأ عادةً بمقدمة طللية , ثم تظل تنتقل من موضـوع الى موضـوع حتى تصـل الى نهايتها , حتى لتصبح براعة الانتقال من المقاييس الفنية المعترف بها عند نقاد الشعر العربي القدماء .

ونستطيع ان نمضـي مع مجموعة شعر الصـعاليك فلا نكاد نخطئ الوحدة الموضـوعية في كل مقطوعاته وأكثر قصائدها , سواء ما كان منها في وصف المغامرات أو الحديث عن سرعة . لعدوٍ أو الفرار أو تقرير فكرة اجتماعية أو اقتصـادية , ولا نكاد نجد صـعوبة غي وضـع العناوين المختلفة لها المعبرة عنها , الدالة على موضـوعاتها , فمثلاً بائية الشـنفرى "غارة على العوص" , ورائية تأبط شـرَاً " احتيال " , وفائية السُـليك بن السُـلكة " الماشـية المذعورة " , وكافية تأبط شـرا " الصديق الصعلوك" .

3ـ التخلص من المقدمات الطللية : هذا طبيعي مادام الشعراء الصعاليك يحرصون على الوحدة الموضـوعية في شـعرهم , إذ أن المقدمات الطللية بطبيعة الحال تُخلْ بهذه الوحدة الموضـوعية .

اذ لا نكاد نعثر فيما بين أيدينا من شعر الصعاليك على مقطوعة او قصيدة تبدأ بمقدمة غزلية , وإنما اتخذ الشعراء الصعاليك لهم مذهباً اخر استعاوضوا به عن هذه المقدمات . وهذا مذهب جعلوا محوره " حواء الخالدة " , ولكنها ليست المرأة المحبوبة التي عرفناها عند الشعراء القبليين , تلك المرأة التي يتدله الشاعر في حبها ويبكي أيامه معها , ويقف على أطلال ديارها , ويدعوا أصحابه إلى الوقوف معه , ولكنها المرأة المحبة الحريصة على فارسها , التي تدعوه دائماً الى المحافظة على حياته , ان لم تكن من اجل نفسه فمن اجلها هي , وليس من شك في انها براعة ممتازة أن يضع الشعراء الصعاليك في مستهل قصائدهم صورة للأنثى الضعيفة التي يظهر صاحبها الى جوارها بطلاً قوياً مستهيناً بحياته من اجل فكرته , نستطيع ان نطلق على هذه المقدمات النسائية عند الشعراء الصعاليك " مقدمات الفروسية في شعر الصعاليك " في مقابل " المقدمات الطللية في الشعر القبلي " .

يستهل عمرو بن براقة قصيدته الميمية بحديث بينه وبين صاحبته , تنصحه فيه بالا يُرِض نفسه للمخاطر , وان يجعل ليله سباتاً يستريح فيه , ولكنه يعجب من هذه النصيحة فكيف ينام الليل من وهب حياته للبطولة والمغامرة ؟ الم تعلم بأنه احد أفراد طائفة الصعاليك الذين لا ينامون من الليل الا قليلا ؟ وهل تريد منه أن يكون كأولئك الخليين المسالمين الذين ينامون الليل كله :

تقولُ سُليمى لا تَعرضْ لِتلفَــةٍ ... وليلك عن ليـل الصعاليكُ نائـمُ
وكيف ينامُ الليلَ من جـلَّ مالـهُ ... حُسامٌ كلون الملح ابيضُ صارمُ
غَموضٌ اذا عض الكريهةَ لم يَدعْ ... لهُ طعماً , طَوْعُ اليمـين مـلازمُ
الم تعلمي ان الصعاليك نومهـم ... قليـلٌ إذا نـام الخلـيُ المسالـمُ

4 ــ التحلل من الشخصية القبلية : وهي ظاهرة ليست على شعر الصعاليك لأنها تتفق وظاهرة الصعلكة ففقد التوافق الاجتماعي بين الصعاليك وقبائلهم ترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية في نفوسهم . ومن الطبيعي الا تظهر شخصية القبيلة عند شاعر فقد احساسه بالعصبية القبلية , وما دامت الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعياً فمن الطبيعي ان تنقطع فنياً , ونعني بأنقطاعها فنياً تحلل الشاعر الصعلوك من العقد الفني الذي نراه بين الشاعر القبلي وقبيلته , فلا يكون الشاعر الصعلوك لسان عشيرته , لان ما بينه وبين عشيرته قد انقطع , ولا يكون شعره صحيفة قبيلته , لأنه لم تعد له قبيلة , وإنما يصبح شعره صورة صادقة كل الصدق من حياته هو , يسجل كل ما يدور فيها , ويُصبح ضمير الفرد " أنا " أداة التعبير فيه بدلاً من ضمير " الجماعة " , " نحن " الذي هو أداة التعبير في الشعر القبلي , وتُصبح المادة الفنية لشعره مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته , ومعنى هذا أن ظاهرة الفناء الفني لشخصية الشاعر القبلي في شخصية قبيلته التي نلاحظها بوضوح عند اصحاب المذهب

القبلي في الشـــعر الجاهلي قد اختفت من مجموع الشـــعر داخل دائرة الصـــعلكة , وحلت محلها ظاهرة أخرى يصح أن نطلق عليها " **ظاهرة الوضوح الفني لشخصية الشاعر الصعلوك** " , ولكن شخصية الشاعر الصعلوك شخصية يشاركه فيها أفراد جماعته , لأنهم جميعاً يؤمنون بمذهب واحد ويدينون بعصبية مذهبية واحدة .

5ـ القصصية : شعر الصعاليك في مجموعه شعر قصصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصـــلح ان تكون مادة طيبة للفن القصـــصـــي , فحوادث مغامراتهم الجريئة التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات , وما كان يدور فيها من صـــراع دام مرير , وأخبار فرارهم وعدوهم , وتشـــردهم في أرجاء الصـــحراء , كل هذا وغيره مادة صالحة للفن القصصي وقد استغل الشعراء الصعاليك هذه المادة في شعرهم استغلالاً قصصياً جمع في صورة بسيطة عناصر الفن القصصي الأساسية من الإثارة والتشويق وتسلسل الأحداث حتى تصـــل إلى غايتها الطبيعية المحتومة , ولو نظرنا الى عناوين مقطوعاتهم وقصـــائدهم نرى أنها في مجموعها عناوين قصصية وهي " غارة على العوص " و " فرار " و" نجاة " و احتيال" . وغيرها .

وهل لامية تأبط شـرَاً الا قصـــة تبدأ بحوار بين صـــاحبة الشـــاعر وجاراتها ثم تتابع احداث القصـــة التي تدور بين بطلها وهو الشـــاعر الصـــعلوك في ليلة مظلمة حالكة وبين غول قابلها , حتى تصل القصة الى نهايتها حين يقتل الشاعر الصعلوك هذا الغول ويخلفها صريعة .

وليس من البعيد أن يكون امرؤ القيس قد فتنه ذلك الأسـلوب القصـصـي في شـعر هؤلاء الصـــعاليك , فحاول تقليده في شـــعره , ثم اتخذه مذهباً فنياً له . وإذن فليس امرؤ القيس أول من اصطنع القصة في الشعر العربي بل هم الشعراء الصعاليك , وليس شعر امرئ القيس نقطة البدء في تاريخ القصة الشعرية بل تسبق هذه مرحلة اولى هي مرحلة الشعراء الصعاليك " رواد القصة الشعرية في الأدب العربي" .

6ـ الواقعية : أول مظاهر هذه الواقعية اتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر مادة لموضاعاتهم , وبعدهم عن الإمعان في الخيال امعاناً ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام . صور الشعراء الصـعاليك في فنهم البيئة البدوية التي يعيشـون فيها بكل مظاهرها : الصـحراء القاسـية بشـعابها وجبالها وصـــخورها . وصـــوروا مظاهر الطبيعة المختلفة كما شـــاهدها : طلوع الفجر , وغروب الشمس , والندى المتساقط في أول الليل وفي آخره .

المظهر الثاني لهذه الواقعية صـــدق النقل عن الحياة , ومطابقة الصـــورة للأصـــل , بحيث لا يشعر الناظر في شعر الصعاليك باختلاف بين الصورة الشعرية واصلها في الحياة .

الشنفرى

لم يختلف الرواة في نسبة الشنفرى الاى الأزْد ؛ فهو الشنفرى الازدي , وان لفظ الشنفرى اصبح من الشهرة بحيث لا يحتاج الى زيادة تعريف او توضيح , لم يشارك فيه صاحبه , او لم يزاحمه في الشهرة على الاقل شخص آحر .

هناك نقاط تتفق عليها الرواة او تكون في حكم المتفق عليها من حياة الشنفرى , وهناك نقاط تختلف حولها الروايات . فما تتفق عليه الروايات أنه ازدي من حيث النسب , ومن المتفق عليه ايضاً أنه نشأ في غير قومه , حيث نقل وهو غلام صغير الى قوم آخرين وهم بنو شبابة بن فهم ثم نقل منهم الى بني سلامان بن مفرج وهم من الازد ايضا , وأن حياته في هذا التنقل لم تكن حياة العزة التي يحظى بها ابناء المكان , وانما حياة الدخلاء على القوم , ومن المتفق عليه أن عداوته تركزت على بني سلامان حتى ألى على نفسه أن يقتل مائة رجلٍ منهم , وأنه ظل مصمماً ومستميتاً في تنفيذ وعيده هذا حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً قبل أن يدركه الموت , ومن المتفق عليه أيضا أنه مات قتيلاً , وأن بني سلامان في احدى محاولاتهم التربص به والترصد له هم الذين قتلوه , ومن المتفق عليه أنه من أشهر صعاليك العرب وقطاع الطرق فيهم, ومن أشهر شعرائهم وأجود شعراً ايضاً . ومن المتفق عليه أنه من العدَائين الذين لم يلحقهم خيل ولا أحد قط , وانه بلغ من امتيازه عن غيره من العدائين اذ ضرب به المثل في العدوِ , ومن طريف ما تتفق عليه الروايات جميعاً بالنسبة للشنفرى خبران غريبان , وغرابتهما هي مصدر الطرافة ؛ احدهما أنه حين مات لم يكن قتل الا تسعة وتسعين من المائة الذين أقسم أن يقتلهم من بني سلامان , وبعد موته بزمن لم تحدده الروايات مر رجل من بني سلامان فأصطدمت رجله بجمجمة الشنفرى فَعَقِرت فمات , فأكتلت به المائة , والخبر الثاني أن الوصية الوحيدة التي أفضى بها عند موته حين همَ اعداؤه بقتله هي ألا يدفنوه , بل يتركوا جيفته في العراء غنيمة للضبع المشهورة بالبحث عن الجيف بأعتبارها الطعام الشهي المفضل لديها , وقد صاغ الشنفرى وصيته هذه في شعر من أشهر ما تحرص الكتب القديمة على أثباته وتداوله , حيث يقول :

فلا تَقبروني انَ قبري مُحضرَمٌ عليكم ولكن أبشري امَ عامر

وأم عامر كنية الضبع عند العرب . وبعد ذلك قتلوه , وقد رثاه رفيقه وصديقه تأبط شرَاً :

على الشنفرى ساري الغَمام ورائح غزيرُ الكُلى , وصيِبُ الماء باكِرُ .

فهو يدعو لقبر الشنفرى بأن يسقى من الغمام الغزير الماء , والكُلى : جمع كلوة وتطلق على المنخفض من السحاب ويعني بها الماء نفسه , والباكر الذي يستقبل النهار في اوله .

وفي حكم المتفق عليه أنه جاهلي , ولم يخالف في ذلك الا صاحب القاموس المحيط للفيروز ابادي , حيث عده من أغربة العرب الاسلاميين , وهم السودُ الالوان تشبيهاً بالغراب المشهور

بالسواد , ومن الواضح أنه مجرد لبس من صاحب القاموس , حيث يركز همه كله على التحقيق اللغوي وليس التاريخ .

لامية العرب

تثير هذه القصيدة قضية ذات بال في الادب العربي من حيث التنازع عليها بين العرب والعجم ومعنى ذلك انها ليست قصيدة عادية او يسيرة الشأن , فالواقع أنها درة لامعة في الادب العربي كله , وقد تكون هناك قصائد اتيح لها قدر كبير او صغير من الشهرة والذيوع لأرتباطها بأحداث معينة , ولكن لا تعرف قصيدة اخرى في الشعر العربي كله تنافس لامية العرب في موضوعها بالذات , وفي مقدرتها على تصوير لون من الحياة العربية هو حياة الصعلكة , وعلى التعبير عن حياة ائفة من المجتمع العربي وهم الصعاليك , وعلى وصف بيئة معينة في الجزيرة العربية , وهي البيئة التي اتخذ منها الصعاليك ميداناً لنشاطهم , ومنطلقاً لغاراتهم , بما تشتمل عليه هذه البيئة من خصائص في بيعتها وفي حيوانها , وفي مناخها , وقد صيغ ذلك كله في ثوب شعري واضح الجودة واضح التميز والتفرد .

لامية العرب : قصيدة عربية خالصة , لشاعر معين مشهور هو الشنفرى , ولكنها لما تمثله من قيمة ادبية فريدة تعرضت في القديم لمحاولة تشبه السطو لكنها لم تنجح ؛ لانها كانت محاولة غير قوية من جهة , كما كانت كل الظروف ضدها من جهة اخرى , ثم الغريب ان تعود هذه المحاولة بعد اكثلر من الف عام من المحاولة الاولى , وللغرض نفسه , هو محاولة سلخها من النسب العربي , في صورة التشكيك في نسبتها الى الشنفرى , وادعاء نسيتها الى خلف الاحمر وهو من اصول غير عربية .

ظاهرة المنصفات في الشعر القديم (العصر الجاهلي)

انصاف الخصم في شعر الحرب عند شعراء العصر الجاهلي

أشار اليه الدكتور عفيف عبد الرحمن في كتابه (الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي) , بقوله " مقطوعة أو قصيدة من الشعر يقولها الفارس مصوراً خصمه , أو خصوم قومه , محاولاً انصافهم بأعطائنا صورة حقيقية لشجاعتهم ونبلهم " . ولو رجعنا لمعجم المصطلحات العربية في اللغة والادب لوجدنا تعريف المنصفات بانها " لقب للقصائد الجاهلية التي لم يبدل قائلوها الحقائق فيها , فيعترفون بهزيمة اقوامهم ان هزموا , وبفرارهم , ان ولو الادبار , ولا يبخلون على اعدائهم بوصف شجاعتهم وبلائهم في الحروب " .

وترجع اقدم منصفة عُرفت في الشعر الجاهلي للمهلهل الذي يذكر له الاصمعي في اصمعياته قصيدة قالها يوم عُنيزة في حربهم مع بكر , يقول فيها :

غَـــداةَ كأننـــا وبَنِـــي أبِينـــا بِجَنبِ عُنَيْزَةٍ رضحْيَا مثدِيـرِ
كـأنَ الْجـدْيَ جَـدْيَ بنـــاتِ نَعشٍ يَكُبَ على اليَدَيْنِ بِمُستَدِيـرِ
وَتَحْبُـو الْشُعرَيـــانِ الـــى سُهـيلٍ يَلـوحُ كقمـةِ الجـــبلِ الكبيـرِ
وكانُـــوا قَوْمَـــنا فبَغَـــوا علينـــا فـقـد لاَقـــاهم لفـح السَعيرِ

وعرفت في المجتمع الجاهلي أصـواتٌ أخرى تبحر عكس التيار , وتنحرف بمسـارها عن الطريق التي رسمته القبيلة , وتمثل ذلك في شعر الشعراء الصعاليك , وشعر المنصفات , الذي يسير في اتجاه معاكس لاتجاه الشعراء في فخرهم بذواتهم وذويهم , ويقف من الخصم في موقف مغايراً لما عرف عن معظم شعراء العصر الجاهلي من ازدراء بالخصم , واستهانة به خاصـةً عند النصر عليه فجاء صوت الشاعر المبصف متهجداً تارة ومرتفعاً تارةً أخرى , ورافضـاً في احيان كثيرة , وصوت الشاعر الذي اعلنه الشاعر الجاهلي كان قاصدا به قبيلته لأنها استسلمت فجاء صوت الشـاعر رافضـاً هذا المنزع الخجولي , ومعلناً العصـيان لقبيلته , ومعلناً رضـاه عن القبيلة التي انتصرت , وربما مدحها .

التوجه الى شـعر المنصـفات في العصـر الجاهلي لم يكن توجها عاما بل كان توجها فرديا , فالشاعر كان احيانا يضطر اليه اضطراراً عندما يقع تحت ظرف معين , كقول دريد بن الصِمَة:

ما ان رأيتُ ولا سمِعتُ بمثلِهِ حامِي الظعينة فارساً لم يُقتلِ
ارى فوارسَ لم يكونوا نهزَةٌ ثم استمر كأنَهُ لم يفعلِ
مُتهلِلاً تبدوا اسرة وجهه مثل الحسام جَلَتْهُ كفُ الصقيلِ
ياليت شعري مَنْ وأمه يا صاح من يكُ مثلهُ لا يُجهلِ .

الابيات كلها مدحٌ في خصمه , واعجاب بشجاعته , ولها قصة وردت في ديوان دريد , والقصة والابيات ذات موقف معين , الزمت دريد بالانصاف , وذر مناقب عدوه , واظهار شجاعته وشدة بأسه .

ولعنترة الذي عرف عنه الفتك وشدة البطش باعدائه ابيات تعد نموذجا للانصاف , فقد نسب الى خصمه صفاتاً وخصالاً لا تماثل ما نسبه الى قبيلته من عبس , ولم يترك شيمة من سيم الرجال الصناديد الا نسبها لخصمه فقال :

فلم أرَ حَيَاً صابَروا مثلَ صَبــْرِنــا ولا كافحوا مثلَ الذيــنَ نكــافِــحُ
اذا شِئــتُ لاقانــي كَمـــيُ مدجـَجُ على أَعْوَجِيً بالطِعــانِ مُسامِــحُ
وسارَت رِجالٌ نَحْوَ أُخرى عليهِمُ الـ حديدُ كما تمشي الجِمالُ الَدوالِحُ
اذا ما مَشَوا في السابغاتِ حَسِبْتَهُمْ سُيولاً وقد جاشتْ بِهِنَ الأباطِحُ

صـــابروا مثل صـــبرنا : أي صـــابروا العدو في الحرب , ولم يبدُ منهم جبن , والمكافحة :هي المزاحمة والمقاتلة في الحرب .

الكميَ : الشـجاع , والمدجج الداخل في السـلاح , والاعوجي منسـوب الى اعوج : فحل قديم . قوله : مسامح : أي سخي بالطعان سمح به وهو نعت للمدجج .

وقوله :"كما تمشي الجمال الدوالح " أي : رجعنا لهم ورجعوا لنا مثقلين بالسلاح , فكاننا واياهم الجمال الدوالح وهي المثقلة .

السـابغات الدروع الكاملة . يقول دروعهم ضـافية : أي سـابغة , فأذا ما مشـوا فيها اضـطربت وسال بعضها على بعض , فكأنها سيول جاشت بهن الاباطح , أي تمايلت واضطربت .

شرح ودراسة

لامية العرب

للشنفرى

شرح ودراسة

الأستاذ الدكتور

عبد الحليم حفني

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

Editions Al-Adab 1923

42 Opera Square - Cairo Tel:(202) 23900868

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ
فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ [1]
فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرُ
وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ [2]

---

(١) يريد أنه صمم على أمر معين، وهيأ نفسه له، وهو الرحيل عن هذا المكان إلى مكان آخر؛ لأنه ضاق بهذا المكان وأهله، وعليهم أيضاً أن يهيئوا أنفسهم لذلك، **وبنو الأم**: الأشقاء من الإخوة أو غير الأشقاء ما دامت تجمعهم الأم، واختار هذه الصلة لأنها أقرب الصلات إلى العاطفة والمودة وهكذا كل ما يرتبط بالأم أو يأتي عن طريقها من الصلات. وهو لا يقصد إخوة حقيقيين، وإنما يريد أنه قرر هجر الناس جميعاً حتى أقربهم إليه. **والمطايا** يريد الإبل، **وإقامة صدورها** كناية عن التهيؤ للرحيل، وليس معناه السير فعلاً كما في بعض الشروح، فالمنظر الواقعي للناقة أنها إنما تنصب صدرها عندما تتهيأ للقيام من بروكها. والشطر الثاني تعليل للشطر الأول، والتفضيل في (أميل) ليس على حقيقته، فهو لا يفاضل بين ميله إليهم وميله إلى غيرهم، وإنما يريد أني كرهت مقامي بينكم وأرغب في مكان سوى هذا المكان، والتعبير بإقامة صدور الإبل تصوير أدبي يجسم المعنى ويبرزه، وهو لا يريد منهم الاستعداد لرحيلهم هم، وإنما يريد استعدادهم لرحيله هو عنهم، وكأنه يشير إلى أنهم لا مقام لهم بعد رحيله، فمن الخير لهم أيضاً أن يرحلوا.

(٢) **حمت** بالبناء للمجهول: قدرت ودبرت. **والطية**: بالكسر الحاجة أو النية المدبرة وكلاهما يصلح هنا. **والأرحل**: جمع رحل وهو ما يوضع على البعير. ومعنى البيت قريب من المثل القديم (أمرٌ أُبرم بليل) فالمعنى أن هناك أمراً عقد عليه العزم ودبره في روية وأناة، وحينئذ يكون صاحبه مقتنعاً به، وهو المراد من (والليل والقمر) فضوء القمر هنا ليس مراداً بحقيقته، وإنما هو كناية عن التفكير في هدوء ورضا نفس، ويراد به أيضاً أنه أمرٌ لا يراد إخفاؤه، فهو في الضوء وليس في الظلام، والشطر الثاني معناه أن الرواحل والمطايا قد شُدت وهو تعبير عن العزم والتصميم، **ولطيات** بكسر الطاء عقدنا عليه العزم. والبيت مبني على سابقه، والمعنى: هيئوا أنفسكم لحدث كبير دبر بعزم وتصميم، وهو رحيلي عنكم، وهذا يدل على اعتزازه بنفسه، وشعوره بأنه ذو تأثير في إقامته ورحيله.

وَفِى الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ [٣]

لَعَمْرُكَ ما فى الأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ
سَرَى رَاغِباً أَو رَاهِبًا وهو يَعْقِلُ [٤]

وَلِى دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ [٥]

---

(٣) المنأى: المكان البعيد، والقلى: البغض والكراهية، والمتعزل: مكان العزلة عن الناس، والبيت حكمة ، شطره الأول معناه أن الكريم يستطيع أن يربأ بنفسه عن الذل والأذى فيهاجر إلى أى مكان بعيد، والشطر الثانى معناه أن اعتزال الناس أكرم من الإثقال عليهم واحتمال نفورهم وكراهيتهم، ونلاحظ الدقة فى التعبير فى الشطرين، فعند الأذى والذل يجب البعد وهذا إذا لم يستطع دفعه، أما عند مجرد الكراهية فتكفى العزلة ولو دون حاجة إلى رحلة بعيدة.

(٤) العمر: بفتح العين أو ضمها مع سكون الميم الحياة. سرى: مشى فى الليل. راغباً: صاحب رغبة. راهب: من الرهبة وهى الخوف. والبيت تأكيد لسابقه، حيث يحلف أن الأرض واسعة، سواء لصاحب الحاجات والآمال، أو للخائف؛ فالأول يستطيع تحقيق آماله فى الرحلة والتنقل، والثانى يستطيع أن يجد الأمن فى الرحلة عن المكان المخوف ، وجملة «وهو يعقل» قيد دقيق، معناه أن تحقيق الهدفين السابقين إنما يكون إذا صاحَبه التفكير وحسن التدبير، وهذه الأبيات الأربعة السابقة تمثل معنى متكاملا، هو أنه قرر فى عزم وتصميم أن يرحل عن المجتمع، وأن السبل ليست مغلقة فى وجهه، بل أمامه آفاق واسعة مفتوحة.

وهذا التفكير يمثل بداية الاتجاه إلى الصعلكة وقطع الطريق، حيث قرر هجر الناس لا لينتقل إلى أناس آخرين، وإنما إلى الوحوش والفلوات وما سيتحدث عنه بعد ذلك.

(٥) أهلون: جمع أهل، والسيد بكسر السين الذئب، والعملس الذئب القوى السريع، والأرقط النمر الذى فى جلده بياض وسواد، والزهلول: الأملس، والعرفاء الضبع الطويلة العرف، وجيأل اسم للضبع تقدمت عليه صفته، والمعنى ضبع طويلة العرف والأصل جيأل =

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيْهِمْ وَلا الجَانِى بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ [٦]

وَكُلُّ أَبِىٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِى
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ [٧]

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِى إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ [٨]

= عرفاء. والمراد قد اخترت مجتمعاً غيركم وغير الناس جميعاً كله من الوحوش، ودونكم يعنى غيركم.

(٦) ذائع: منتشر. وجر جريرة: جنى جناية. وخذله إذا تخلى عن نصرته. وهو يوازن بين مجتمع الناس الذى هجره ومجتمع الوحوش الذى يعايشه فى الصعلكة، فيقول عن الوحوش هم الأهل، بأسلوب القصر، يعنى الأهل الحقيقيين ولا أهل غيرهم، ثم يتحدث عن فضائل مجتمع الوحوش وما يمتاز به عن الآدميين، وأولى فضائله أنه لا يذيع سرًا عنده، وثانيهما أنه لا يخذل بعضه بعضًا حتى فى أحرج المواقف، ومعنى ذلك أن أولى رذائل المجتمع الآدمى عند الشنفرى عدم الأمانة كإذاعة ما يؤتمن عليه أحدهم من سر، ثم الرذيلة التى تليها قريبة من الخيانة أيضًا؛ حين يخذل الصديق صديقه أو القريب قريبه، وهذا نوع من خيانة الصلة والرابطة.

(٧) الأبى: الذى يأبى الذل والظلم، والباسل: الشجاع البطل، والطرائد جمع طريدة وهى الفريسة التى تطارد. وكلٌّ أبى يعنى الوحوش التى سبق حديثه عنها، يصفها بالشجاعة، ثم يقارن بين نفسه وهذه الوحوش، فيقول إنه مع الشجاعة الفائقة لهذه الوحوش إلا أننى أبسل منها فى مطاردة الفرائس. والزمخشرى يفسر الطرائد بالفرسان، على معنى أن الشنفرى يقارن بين شجاعته وشجاعة فرسان مطاردين للصيد، وهو تفسير غير دقيق. والواقع أن السياق يرجح الموازنة بينه وبين الوحوش وجه الموازنة فى مطاردة الفريسة لأنها الهدف المشترك بينه وبين الوحوش.

(٨) الجشع: النهم وشدة الحرص، وهذا البيت استطراد منه فى ذكر بعض فضائله، فبعد أن =

الفصل العاشر
النثر الجاهلي

تمهيد

وهو النثر الذي عُنى النقاد ببحثه ودراسته بوصفه أدباً يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس السامعين والذي يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء.

وإذ اقتصرت الكتابة على الأغراض السياسية والتجارية، لصعوبة الحصول على أدواتها، فقد كان النثر الجاهلي موضوع خلاف شديد بين العلماء من مستشرقين وعرب، فذهب (جيب) إلى إنكار هذا النثر، وحجته «أن النثر الفني، لغة العقل والتفكير، لا يظهر إلا في أمة تبلغ درجة عالية من المدنية والحضارة خلاف الشعر، لغة العاطفة والخيال، فإنه يرافق الإنسان منذ طفولته الاجتماعية».

ويرى كارلو نالينو «أن العرب في الجاهلية لم يخرجوا في النثر عن قدر الإنشاء القصير والمقطعات»

وأجمع علماء العرب على أن الجاهليين كانوا يجيدون النثر الأدبي، وآية ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وأنه تحدى العرب في أن يأتوا بمثله أو بعضه. ومن ثم كان لهم هذا النثر الذي وصل إلينا القليل منه لصعوبة روايته في حين لقي الشعر انتشاراً أكثر من النثر، وكان أوفر حظاً من العناية والاهتمام، وهو بالقياس إلى النثر أكثر ما يصلى إلينا من الأدب الجاهلي، قال ابن رشيق: "ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره". وقد يكون المقصود بالنثر ههنا ما كان يستعمله الناس في حياتهم اليومية، ذلك أن النثر الفني كان أقل مادة، لحاجته إلى التفكير والروية، فضلاً عن حاجته إلى وسائل التدوين وعمادها الكتابة حتى يتسنى حفظه من الضياع، في حين كان الشعر أسهل حفظاً.

ويمكن تقسيم النثر الجاهلي إلى عدة أنواع، وهي:

1. الخطابة.
2. الأمثال والحكم.
3. سجع الكهان.
4. الوصايا.
5. القصص.

المبحث الأول

الخطابة

تُعد الخطابة من فنـون النثـر الـشفاهي، وقد عرفت منذ العصر الجاهلي إذ استعملها العرب في عرض قضاياهم، أو في الـرد علـى خصومهم، أو لإقناع الآخـر لاستمالته. ومن ثم فهي وسيلة إقناع وإمتـاع، والأصـل في تذوقها أن تتلقاهـا الأذن لحظة إلقائها، وخصوصاً في العصر الجاهلي الذي طغت فيه الأمية على الناس.

وعناصرها الاتصالية، هي:

1. المرسل (الخطيب).
2. الرسالة (الخطبة).
3. المرسل إليه (المستمعون).
4. قنوات الاتصال (الأذن والعين).

مكانتها

كان للخطابة في العصر الجاهلي مكانة مرموقة، عند العرب، إذ تلت الشعر في التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم. وتوافرت لها أسباب الازدهار، فقد امتلكوا ناصية البيان وصلابة اللسان وحضور البديهة، وتهيأت لها الظروف إذ كثرت المنازعات والخصومات بينهم، فكانت مجالاً لمنافراتهم ومفاخراتهم بالأحساب والأنساب.

وتعددت مواقف الباحثين من الخطابة الجاهلية، فقد أنكر طه حسين إزدهارها، إذ يقول: لا أنكر أنه قد كان للعرب قبل الإسلام خطباء، ولكنني لا أتردد في أن خطابتهم لم تكن شيئاً ذا غناء، وإنما الخطابة العربية فن إسلامي خالص. ورأى شوقي ضيف أن الخطابة الجاهلية كانت مزدهرة، وأن منزلة الخطيب كانت فوق منزلة الشاعر، واستند إلى أقوال القدماء أمثال أبي عمرو بن العلاء والجاحظ، اللذين اتفقا على أن الشاعر كان أرفع قدراً من الخطيب، فلما كثر الشعر والشعراء وانحرفوا عنرسالة الشعر صار الخطيب عندهم فوق الشاعر وأعظم قدراً منه، وذلك بوصفه صوت العقل الذي ارتبط بمواقف التفاوض والمشاورة والوفادة، على حين ظل الشاعر صوت الوجدان للقبيلة.

ورد غازي طليمات على ذلك، فوجد في رأي شوقي ضيف غلواً، واستنبط من أقوال القدماء تفسيراً آخر خلاصته أن الشعر كان أشيع من الخطابة وأنجح.

والحق أن الشعر كان أكثر ازدهاراً، وأن الشعراء كانوا أكثر عدداً، وقد يكون الشاعر خطيباً، من أمثال عامر بن الطفيل وعمرو بن كلثوم، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي. في حين نجد الخطباء عامة لم يبرعوا في الشعر أمثال عامر بن الظرب العدواني، وقس بن ساعدة الإيادي وهاني بن قبيصة الشيباني، وهاشم بن عبد مناف.

وكثيراً ما يذهب كلام الخطيب ويبقى كلام الشاعر، لصعوبة حفظ النثر وسهولة حفظ الشعر وروايته، فضلاً عن أن العرب في الإجمال كانوا أميين لا يعرفون التدوين ولم تتوافر لهم أدواته إلا في نطاق محدود. ولعل في خبر المنافرة بين عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة دليلاً على أن الشعر كان أعلى مقاماً من الخطابة؛ فمعلقة ابن كلثوم ذاعت على

ألسنة بني تغلب جيلاً بعد جيل، في حين اتسمت معلقة الحارث بالمنطق وحسن العرض والقدرة على الإقناع.

أنواع الخطابة

توافرت في العصر الجاهلي أنواع من الخطب، اختلفت باختلاف متطلباتها، كالمنازعات القبلية، والوفود على الملوك والأمراء، وتوجيه النصح والإرشاد، وبث الحمية في المتحاربين، والتعبير عن التواصل الإنساني، وأشهر أنواعها:

1- خطب المنافرة

المنافرة هي أن يفخر رجل على رجل أو قبيلة على قبيلة، بحضور حكم يحكم بينهما، حيث يذكر كل خطيب مفاخره أو مفاخر قبيلته، كمنافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل، وتعد من أشهر منافراتهم، لكثرة من اشترك فيها من الشعراء الحكام. وبدأت في حوار عنيف بين عامر وعلقمة:

-قال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً.

-قال علقمة: والله لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

-قال عامر: والله لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.

-قال علمقة: أنافرك أني لبر وأنك لفاجر، وأني لولود وأنك لعاقر، وأني لعف وأنك لعاهر، وأني لواف وأنك لغادر.

وقد حكم هذه المنافرة هرم بن قطبة الغزاري وقد رآه عمر بن الخطاب يوماً المسجد، فقال له: «أرأيت لو تنافرا إليك -يعني علقمة وعامراً- أيهما كنت تنفر؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو قلت فيها كلمة لاعتدتها جذعة، فقال عمر: لهذا العقل حاكمت إليك العرب»

وقد يعقب المنافرة خطبة يلخص فيها الحاكم رأيه، كقول نفيل بن عبد العزى حين تنافر إليه عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وحرب بن أمية، فنسمعه يخاطب حرباً: يا أبا عمرو! أتُنافر رجلاً هو أطول منك قامة،

وأعظم منك هامة، وأوسم تنك وسامة، وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل صفدا"، وأطول منك مذوداً؟. ومن المنافرات المشهورة منافرة جرير بن عبد الله البجلي وخالد بن أرطاة الكلبي إلى الأقرع بن حابش. ويلاحظ أن أكثر منافراتهم مسجوعة

2-خطب الوعظ

وتدور حول مشكلة الموت والمعاناة من الضياع، وتعد خطبة قس بن ساعدة اشهر خطب الوعظ وقد ألقاها في سوق عكاظ، حيث رآه النبي ﷺ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس، اجتمعوا، واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ومن أشهر الخطباء الوعاظ المأمون الحارثي الذي خطب في قومه.

3- خطب الوفادة

وكانت شائعة بينهم حين يفدون على الأمراء والسادة، إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من الغساسنة أو المناذرة، فيجيبه متحدثاً بلسان قومه.
وأشهرها خطبة أكثم ابن صيفي بين يدي كسرى، ومنها قوله: إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها. الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة. والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطئ، آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر...

وهي خطبة كما ترى حافلة بالحكم والأمثال المتناثرة، وأنها قصيرة الجمل خالية من المبالغة والتزويق، وفيها بعض السجع، وافكارها مفككة تخلو من وحدة الموضوع ومن التقسيم المنطقي الذي يقوم على نمو الأفكار وتصاعدها.

4- خطب الحرب

وتدور حول إثارة الحمية، والدعوة إلى النزال والصبر على القتال. ومن أشهرها خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني، إذ يحرض قومه يوم ذي قار

بـيـن العـرب والفـرس، وفها انتصر العرب على الفرس: وقد قال فيها: «يا معشر بكر! هالـك معـذور، خير من نـاج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفـر المنية ولا الدنية. استقبال الموت خير من استدباره. الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجـاز والظهور. يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا بد».

وهذا فضلاً عن خطب الزواج (الإملاك)، وخطب إصلاح ذات البين، وخطب التعزية والتهنئة.

ومن أمثلة خطب الزواج في الجاهلية، الخطبة التي ألقاهـا أبـو طـالـب في زواج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد، إذ يقول: « الحمد لله الذي جعلنا مـن زرع إبراهيم، وجعل لنا بلداً حراما، وبيتاً محجوجاً، وجعلنـا الحـكـام علـى النـاس، ثـم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه، برأ وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً ونبلاً، وإن كـان في المـال قل، فإنمـا المـال ظـل زائـل، وعاريـة مسترجعة، وله في خديجة بن خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي».

سنن الخطباء

اجتمعت جملة من السنن والتقاليد في الخطابة الجاهليـة؛ فكـانوا يخطبـون علـى رواحلهم في الأسواق العظام والمجامع الكبـار، ويلوثيون على رؤوسهم العمائم، ويشيرون في أثناء النطق بالمخاصر، والعصي والقسي. راكبين أو واقفين على مرتفع من الأرض.

وقد أثارت الشعوبية في موقفها من العرب عادة اتخاذ العصي والمخاصر في أثناء خطابتهم، فردّ عليهم الجاحظ مبيناً فوائد العصا، إذ يقول: إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة التهيؤ للإطناب والإطالة.

ومن صفات الخطيب الجيد أن يكون جهوري الصوت، حاضر البديهة، حسن الالتفات، قوي الشخصية، قوي الحجة، وكان يعيبون فيه التنحنح والارتعاش والتعثر في الكلام، والخوف من لقاء الناس، ومس الـذقن والسبال والشوارب. ولم يقفـوا عند صقل الألفاظ وتجديدها، وإنما كانوا

يتزيدون في جهارة الأصوات، كما كانوا ينتحلون سعة الأشداق وهدل الشقاه.

وقد يجيد بعض الخطباء خطبهم، فيحفظها الرواة، ويسمونها بأسماء خاصة،فمن خطبهم العجوز وهي خطبة لآل رقبة، والعذراء وهي خطبة قيس بن خارجة في حرب داحس والغبراء.

خصائص الخطابة

يرى شوقي ضيف أن معظم الخطب الجاهلية منتحلة، وأنه قيست على نماذج جاهلية مسجوعة، وخصوصاً خطب المنافرة والمفاخرة التي سبقت الإشارة إليها. في حين كانوا يستعملون المنثور المرسل في الخطب الصلح والمعاقدة والمعاهدة.

ومن يقرأ ما وصل إلينا من تراثهم الخطابي يشعر أنهم كانوا يبتغون التجويد في كلامهم، وتمثل ذلك في عنايتهم بالسجع والاستعارة، واختيار الألفاظ القوية الناصعة.

وتفتقر خطبهم إلى المنهجية الواضحة، فمن الخطباء من كان يرتجل خطبته ارتجالاً، ومنهم من يبدأ بالعبارة المألوفة (أما بعد)، فضلاً عن أنها تفتقر إلى ترابط العبارات والنمو المتصاعد بالفكرة.

وكثيراً ما يستشهدون بالشعر، سواء في ثنايا الخطبة أو في خاتمتها، على نحو ما نرى في خطبة قس بن ساعدة. ويكثرون من الحكم والأمثال وهي خاصة أشد وضوحاً في خطبة أكثم بن صيفي، كقوله: المرء يعجز لا محالة، أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة، ولعل هذا يدل دلالة واضحة على خلو خطبهم من الروابط القوية.

وعرف في الجاهلية عدد كبير من الخطباء، فمن خطباء القبائل قس بن ساعدة في إياد، وأكثم بن صيفي في تميم، وعامر بن الظرب في عدوان، وعمرو بن كلثوم في تغلب، وهانئ بن قبيصة في شيبان، وقيس بن خارجة في غطفان، وزهير بن جناب في كلب وقضاعة، وسحبان بن وائل في باهلة.

وممن اشتهروا بالخطابة في المدن هاشم وأمية ونفيل بن عبد العزى، وعتبة بن ربيعة وسهيل بن عمرو في مكة، وقيس بن شماس وسعد بن الربيع في يثرب.

ويرى شوقي ضيف أن كثرة هؤلاء الخطباء تؤكد أن منزلة الخطيب في الجاهلية فوق منزلة الشاعر. وهذا رأي غير صائب، فقد كان الشاعر يحتل المنزلة الأولى، وكان الشعراء يفوقون الخطباء عدداً، فضلاً عن أنه لم يصح ما أثر عنهم من خطب، إذ تزيد الرواة فيها، وفي المقابل فإن ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي أكثر، مع ما في هذا الشعر من وضع وانتحال.

نموذج من الخطابة الجاهلية

خطبة قس بن ساعدة الإيادي

كلمة عن الخطيب

خطيب جاهلي، من قبيلة إياد، يوصف بأنه خطيب العرب وشاعرها، وحليمها وحكيمها في عصره ، ويقال إنه أول من قال في كلامه: أما بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا... . وإذ قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال: ما فعل قس ابن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول الله. قال: كأني انظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه. فقال رجل من القوم: أنا احفظه يا رسول الله. قال: كيف سمعته يقول؟ قال سمعته يقول: أيها الناس: أسمعوا وعوا.....". وكانت وفاته على الأرجح قبل البعثة النبوية بجوالي عشر سنوات.

النص:

أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، آيات محكمات، ومطر ونبات، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وليل داج، وسماء ذات أبراج.

ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا، يا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ وإبن الآباء والأجدة؟ وأين الفراعنة الشداد؟

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر

لا يَرجعُ الماضى إلىَّ ولا مِن الباقين غابر

أيقنتُ أنى لا محا لةَ حيثُ صارَ القومُ صائر

لم يحفظ لنا القدماء من نثر قس بن ساعدة إلا خطبته هذه، وبعض أقواله. ويبدو أنه كان ينكر ما شاع في الجاهلية من معتقدات فاسدة ومنكرات موبقة.

ألقى قس خطبته في الناس بسوق عكاظ، يذكرهم بدلائل قدرة الله ليؤمنوا به، ويذكرهم بالموت الذي، هو غاية كل حي. ويختمها بأبيات من شعره مذكراً بمصير الأجيال الماضية كيف وردت منهل الموت، وأنه سيرده هو والناس جميعاً.

سمات وخصائص:

تتميز هذه الخطبة بما يلي:

1-تعد الخطبة نتاج خبرة واسعة خصبة متنوعة عاشها الخطيب.

2-السجع الجميل غير المتكلف، ولعلهم كانوا يسجعون لكي يسهل حفظ خطبهم، ولكي يكون لمواقفهم وقع موسيقي في الأسماع.

3-الجمل قصيرة متوازنة، ولكنها غير مترابطة.

4-كثرة الحكم والأمثال.

5-جاءت مُذيّلة بالشعر.

المبحث الثاني

الأمثال والحكم

كل من الحكمة والمثل عبارة قصيرة بليغة، يتكونان شعراً أو نثراً، وهما وليدا التجربة الصادقة والعقل الراجح والرأي السديد، وهما في النثر أكثر دورانا من الشعر؛ وقد يعمد الشعراء إلى الحكمة أو المثل طلباً للمعنى من جهة وتزيين الكلام من جهة أخرى.

المثل

هو قول موجز بليغ يعتمد على حادثة أو قصة أو مناسبة قيل فيها ويضرب في الحوادث المشابهة لها.

وقد نسبت إلى الجاهليين أمثال كثيرة، تصدر في الغالب عن أناس مجهولين من عامة القبائل، وتدور على الألسنة بسرعة، وقلّما يمسها تغيير، حتى لو خالفت قواعد النحو والصرف، في مثل قولهم. "مكره أخاك لا بطل"، والصحيح مُكره أخوك؛ فنائب الفاعل حكمه الرفع بـ الواو، وقولهم "أعطِ القوس باريْها" بتسكين الياء في باريها والقياس فتحها.

ومهما يكن من أمر، فإن الأمثال الجاهلية تسير وفق نظام النحو العربي، وتتسم طائفة منها بالبلاغة، إذ كانت ترد في خطبهم ووصاياهم، يقول الجاحظ: "كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع".

وقد تعمد الأمثال إلى ضرب من التوازن الآتي من السجع ، ولربما اهتمت بالتصوير، فتكون في نهاية البلاغة لما تشتمل عليه من حسن التشبيه وجودة الكناية.

فأنت إذ تقرأ هذه الأمثال: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود» «شنشنة أعرفها من أخزم» «إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه» «كالمستحبر من الرمضاء بالنار "و" رمتني بدائها وانسلت»، تحس بهذا الإيقاع الجمال الآتي من جمال الصياغة.

وقد دونت الأمثال منذ أواسط القرن الأول للهجرة، إذ أخذ بعضن النسابين يؤلفون فيها من أمثال صحار العبدي وعبيد بن شرية، ثم توالت كتب الأمثال في القرنين الثاني والثالث، فيؤلف أبو عبيد القاسم فيها كتاباً يشرحه من بعده أبو عبيد البكري عنوانه "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال"، ويؤلف أبو هلال العسكري كتابه "جمهرة الأمثال" ويخلفه الميداني صاحب كتاب "مجمع الأمثال"، وقد رتبت الأمثال في هذه الكتب بحسب الموضوعات حينا، وبحسب الترتيب المعجمي حينا آخر. وبذلك اختلطت الأمثال الجاهلية بالأمثال الإسلامية، ويرى شوقي ضيف أن أصحاب هذه الكتب أوردوا إشارات تدل على جاهليتها وقدمها، فهم يسوقون مع المثل قصة جاهلية تفسره، وقد ينسبون المثل إلى جاهليين.

وقد اشتهر بعض الجاهليين بالحكمة وضرب الأمثال، ومنهم أكثم بـن صـيفي،وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة.

نماذج من الامثال

1-جزاء سنمّار: (يضرب للمحسن يلقى على إحسانه شرا)، وأصله أن بنـاء روميـاً بنى قصرا للنعمان بن امرئ القيس اللخمي، يسمى الخورنق، فلمـا أتمـه قـال لـه سنمار: إني أعرف موضع آجرة (لبنـة)، لـو زالـت لـسقط القـصـر كـلـه، فقـال لـه النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ فقال: لا، فقال النعمـان: إذن لـن يعرفهـا أحـد بعـد اليوم، وأمر بسنمار، فرمي من أعلى القصر إلى أسفله، فمات.

2-يداك أوكتا وفوك نفخ: (يضرب لمن يقع في سوء فعله)، وأصـلـه أن رجـلا نفـخ قربة وربطها ثم نزل بها يسبح في نهـر، وكانت القربـة ضـعيفة الوكـاء (الرباط)

3-كل فتاة بأبيها معجبة: (يضرب لمن يعجب بمن يخصه).

4-تجوع الحرة ولا تأكل بثديها: (يضرب لمن يترفع عن الدنايا).

5-مواعيد عرقوب: (يضرب في خلف الوعد والمماطلة).

ونسبت أمثال إلى لقمان عاد، وكانت قبيلته تنزل في الأحقاف، وقـد بـادت ولم تبق منها باقية في الجاهلية. وبه ضربوا المثل في طول العمر، إذ قيل إنه عاش عمر سبعة نسور وأن كل نسر منها عاش ثمانين سنة، وكان لُبد آخرها. ومما قالوه في ذلك: "طـال الأبد في لُبد".

الحكمة

الحكمة قول موجز بليغ يحمل في طياته معنى سامياً، وتجربة إنسانية عميقة. وقد اشتهر العرب بالحكمة في الجاهلية، ومن حكمائهم أكثم بن صيفي التميمي، وعامر بن الظرب العدواني، وكلاهما من المعمرين.

ومن الحكم التي تدور على لسان أكثم:

•رب عجلة نهب ريثا.

•المرء يعجر لا محالة.

•رب قول أشد من صول.

• هدنة على دخن.

•ويل للشجي من الخلي.

وتنسب إلى عامر حكم ووصايا كثيرة لقومه، ومن أقواله:

•رب زارع لنفسه حاصد سواه.

•من طلب شيئاً وجده، وإن لم يجده أوشك أن يقع قريباً منه.

•أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو فَهَّ عن الحكم وجار عن القصد. وقيل في ذلك: إنما العصا قرعت لذي الحلم. وقال المتلمس في ذلك.

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما عُلم الإنسان إلا ليعلما

وهو بيت ضمنه ابن الرومي في شعره، إذ يقول:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد قالها من قبلي المتلمس

وعلى أية حال فإن الحكم والأمثال التي تنسب إلى الجاهلية صحيحة إلى حد كبير، وذلك لأنها دونت من القرن الأول الهجري على يد عبيد بن شرية، ولكونها قصيرة تعلق بالذاكرة وتتداولها الألسنة جيلاً بعد جيل. وما زال قدر منها معروفاً ومتداولاً حتى اليوم .

المبحث الثالث

سجع الكهان

السجع ضرب من الكلام المقفى، يتألف من جمل قصيرة حافلة بالمعاني. وقد ارتبط بالحياة الدينية وبالكهانة في العصر الجاهلي، إذ ظهرت طائفة من من النـاس تـزعم أنها تطلع على الغيب، وتعرف ما يأتي به الغد بما يلقي إليها توابعها من الجن. وقد عرف هؤلاء بالكهان، ولكل واحد منه تابع يسمى الرّئي.

وكان الناس يعتقدون أن للكهنة أتباع من الشياطين، يسترقون السمع ويـأتونهم بأخبار الغيب. وقد اقترنت الكهانة بالعرافـة إذ لا فرق بينهمـا، سـوى أن الكهانـة اختصت بالأمور التي سوف تقع في المستقبل، أما العرافة فقد اختـصـت بـالأمور التي وقعت في الماضي.

وكان الكهان مقصد العرب في الجاهلية يؤتى إليهم مـن كـل حـدب وصـوب، وكانوا يستشيرونهم في كثير من شؤونهم كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة. وإذ كانوا يزعمون أنه يوحى إليهم، فقد امتد نفوذهم خـارج نطـاق القبيلـة، وانتشروا في جزيرة العرب بعامة واليمن بخاصة، واتخذوا بيوت الأصنام موطناً لهم.

ويذكر القدماء أسماء بعض كهان الجاهلية فمن أكهن العرب وأسجعهم سلمة ابن أبي حية وهو الذي يقال له عُزّى سلمة.

ومن سجعه قوله: والأرض والسماء، والعقاب والصقعاء، واقعـة ببقعـاء، لقـد نفر المجد بني العشراء للمجد والسناء. ومـن كـهـانهم المشهورين شيـق بـن الـصعب وسطيح بن ربيعة الذئبي، اللذين رسمت لهما صور غريبة؛ فشق كان شطر إنسان، له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة. أما سطيح فلم يكن فيه عظـم سـوى جمجمتـه ولم يكن له عنق وكان وجهه في صدره. ومن كاهنات الجاهلية الشعثاء، وكاهنة ذي الخلصة، والكاهنة السعدية، والزرقاء بنت زهير، وكاهنة بني رئام التي ذكر أنهـا انذرت قومها غارة فقالت: واللوح الخافق والليل الغاسق والصباح الشارق والـنجم

الطارق والمزن الوادق، إن شجز الوادي ليأدو ختلا، ويحرق أنياباً عصلا، وإن صخر الطود ليندر تكلا، لا تجدون عنه معلا.

ولا شك في أن أغلب هلم الأقوال مصنوعة على السنة هؤلاء الكهان والكاهنات، ولا يمكن الأخذ بها؛ لبعد المسافة بين عصور التدوين والعصر الجاهلي، وهي أقوال يشيع فيها إلى جانب السجع غريب اللغة، وحلف الأيمان بما في الكون من مظاهر القوة، كالرياح والليل الداجي والبحار والأشجار والكواكب والنجوم وكثير من الطير؛ وهم يقصدون بهذا الأسلوب أن يجعلوا لأنفسهم سلطاناً سحرياً على الناس.

وتجدر الإشارة إلى أن حديث الرسول ﷺ : إياكم وسجع الكهان، قيل حين قضى في جنين امرأة ضربتها الأخرى فسقط ميتا هو وأمه، فكانت دية الجنين غرّة (عبد أو وليدة)، ودية المرأة على عاقلة الضاربة. فقال رجل منهم: (كيف ندي من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، ومثل دمه يطل)، فقال الرسول ﷺ: أسجع كسجع الاسلية؟!

وذكر الجاحظ أن هذا التحريم كان لقرب العهد بالجاهلية، فلما زالت العلة زالت العلة زال التحريم.

المبحث الرابع

الوصايا

تعد الوصايا خلاصة التجربة الإنسانية، وتهدف إلى غاية نبيلة تقوم على النصح والإرشاد إلى الطريق القويم، والترغيب في التزام الفضائل والتحلي بالأخلاق الكريمة

وقد حفظت لنا كتب القدماء كثيراً من وصايا العصر الجاهلي، أشهرها كتاب الوصايا لأبي حاتم السجستاني (-248هـ)، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (-356هـ). ويمكن قسمة هذه الوصايا إلى قسمين بالنظر إلى من صدرت عنهم:

وصايا الحكماء والمعمرين، ووصايا الآباء للأبناء.

أ-وصايا الحكماء والمعمرين

وتوجه إلى الأهل والعشيرة عند الإحساس بدنو الأجل، إذ يقدمون فيها خلاصة تجاربهم في الحياة، ويعبرون عن نظرتهم إلى الدنيا وأحوالها، ورأيهم في البشر وطباعهم وسلوكهم. وممن عرفوا بها أكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة، والأفوه الأودي.

ومن الوصايا المكتوبة وصية أكثم بن صيفي التي وجهها إلى طيىء – وهي مشهورة- ينصحهم فيها بأمور عدة، فيقول: أوصيكم بتقوى الله، وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقاء، فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع، وعليكم بالخيل فأكرموها، فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها، فإن فيها ثمن الكريمة، ورقوء الدم، وبألبانها يتحف الكبير، ويغذى الصغير..... والعدم عدم العقل لا عدم المال.....ومن عتب الدهر طالت معتبته، ومن رضي بالقسم طابت معيشته، وآفة الرأي ألهوى".

ب-وصايا الآباء للأبناء

وتعد توجيهاً تربوياً يتضمن خلاصة تجاربهم، وكثيراً ما توجه قبيل الموت. ومن أشهرها وصية ذي الإصبع العدواني، لما احتضر، لابنه أُسيد:

«أي بني ،إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته، وبلغت في قومك ما بلغتـه، فاحفظ عـني: ألـن جانبـك لقومـك يحبـوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط وجهك لهم يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتـك صـغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكـرم ضيفك، وأسرع إلى النهضة في الصريخ، فإن لك آجلاً لا يعـدوك وصـن وجهـك عـن مـسألة أحد، فبذلك يتم سؤددك:

أأسيد إن مالا ملكت فسر به سيرا جميلا

آخ الكرام إن استطعت إلى إخائـهم سبيلا

واشرب بكأسهم وإن شربوا به السمّ الثميلا

أهن اللئام ولا تكن لإخائـهـم جملا ذلولا

وهي لاشك تبدا بعبارة تقليدية دأب عليها أصحاب الوصايا وهـي قولـه: أي بني ثم أتبعها بقوله: إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سلم العيش، وهـي عبـارة تبرز فيها وجدانية صافية، تصور حال الموصـي وقـد أدركتـه الشيخوخه، ثم أردفها بجملة وصايا تدور حول القيم والصفات التي يعتـز بهـا الغـرب. ثـم ختمهـا ببـضعة أبيات من الشعر توضح وتؤكد تلك المعاني، وتبين أن الموصـي يـدرك الأثـر الجميـل الذي يحدثه الشعر في النفوس.

ومن وصايا العرب التربوية وصية أمامة بنت الحارث التي أودعتهـا تجاربهـا في الحياة، وودعت بها ابنتها أم إياس حين زفتها إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة، إذ تقول: "أي بُنية! إن الوصية لو تركـت لـفـضـل في أدب تركـت ذلـك منـك، ولكنهـا تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل....أي بنيـة! إنـك فارقـت الجـو الـذي منـه خرجـت، وخلفت العش

الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه إياك عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً، يا بنية! احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعاهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشتم منك إلا طيب ريح، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه، حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك، ويصنع برحمته

فهذه وصية اجتماعية، تصدر من أم هي «أقامة بن الحارت» إلى ابنتها «أم إياس»، وتتألف بنيويا من ثلاثة أجزاء:

1-مقدمة استهلالية: تبدأ بجملة تخاطب فيها ابنتها بأسلوب النداء الذي يدل على محبتها لها، فقد استعملت أداة النداء «أي» التي ينادي بها القريب، وجاء المنادى مصغرا للتحبب. ثم ضمنتها عبارة تدل على مكانة هذه الوصية عند الأم

2-العرض/ الجسم: والمقصود به هنا موضوع الوصية، ويتألف من عدد من العناصر، إذ توصيها بعشر خصال، تدور حول العلاقة الزوجية المثالية، ببعدها الإنساني وأسلوبها الهادئ الرزين، الذي يحمل خلاصة تجربة إنسانية. واستعملت العبارات الموجزة المتوازنة المسجوعة، المكونة من جمل إنشائية كالأمر والنهي والنداء.

3-وأخيراً هناك الخاتمة، التي تتألف من جملة واحدة أو أكثر قليلا، تؤكد فيها أهمية الوصية، وتدعو لها بالتوفيق في حياتها الزوجية. ولا شك في أن هذه الوصية «تنبع من محبة الأم إلى ابنتها ففيها تهذيب وتوجيه إلى الخير، نلمح فيها فطنة الأم وذكائها اللمّاح، ودقة الملاحظة وخصوبة الخيال»

والواقع أن هذه الوصية منحولة على لسان المرأة الجاهلية، بما فيها من تسلسل منطقي، وبعد حضاري، وتأنق لفظي، وعبارات مسجوعة.

الطالب /علي حسين علي

المحتويات

- المحاضرة الأولى / مفهوم الادب
- المحاضرة الثانية / تاريخ الادب
- الحاضرة الثالثة / مفهوم الجاهلية
- مصادر الشعر الجاهلي
- فنون الشعر الجاهلي
- بنية القصيدة الجاهلية
- معلقة امرؤ القيس
- معلقة طرفة بن العبد
- معلقة زهير بن أبي سلمى
- معلقة عمرو بن كلثوم
- معلقة عنترة بن شداد
- قضية الانتحال
- الشعراء الصعاليك في الجاهلية
- لامية العرب للشنفري
- النثر الجاهلي